مقرر توحيد (١)

كلية العقيدة والدعوة
و
كلية الحديث الشريف

أولًا :مبادئ علم العقيدة :

١-معنى العقيدة ،وأهميتها ،وخصائصها

معنى العقيدة لغة : من العقد وهو الشد والربط والإحكام ، ومنه سميت عقدة الحبل عقدة لأنها مشدودة ومحكمة .

العقيدة اصطلاحا هي: الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرِّه، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها

أهمية العقيدة : تظهر أهمية العقيدة من خلال أمور كثيرة منها ما يلي:

١ – أن حاجتنا إلى هذه العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتنا إليها فوق كل ضرورة لأنه لا سعادة للقلوب، ولا نعيم، ولا سرور إلا بأن تعبد ربها وفاطرها تعالى.

٢–أن العقيدة هي أساس الدين ، قال الله – تعالى –: [وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ] ﴿الزمر: ٦٥﴾

٣– أن العقيدة هي أعظم الواجبات وآكدها؛ لذا فهي أول ما يطالب به الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم: «أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» متفق عليه

٤ –أن العقيدة تحقق الأمن والهداية في الدنيا والآخرة، قال تعالى : [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ]

٥ – أن العقيدة هي السبب في حصول التمكين في الأرض،قال تعالى: [وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ] ﴿الأنبياء: ١٠٥﴾

٦–أن العقيدة الصحيحة هي التي تحقق السعادة والسرور والعافية والرخاء ، قال تعالى :: [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ] ﴿الأعراف: ٩٦﴾

خصائص العقيدة الإسلامية :

إن المتأمل المنصف ، لو قارن بين المعتقدات السائدة بين الناس اليوم ؛ لوجد للعقيدة الإسلامية – المتمثلة في عقيدة أهل السنة والجماعة – خصائص وسمات تميزها وأهلها بوضوح عن المعتقدات الأخرى من ديانات أو فرق أو مذاهب أو غيرها ،ومن هذه الخصائص والسمات :

١ – سلامة المصدر : وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع السلف ، وأقوالهم فحسب .

وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب أهل الكلام والمبتدعة والصوفية ، الذين يعتمدون على العقل والنظر ، أو على الكشف والحدس والإلهام والوجد ، وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة التي يُحكمونها أو يعتمدونها في أمور الغيب ، و العقيدة كلها غيب

٢ – أنها تقوم على التسليم لله – تعالى – ولرسوله– صلى الله عليه وسلم– لأنها غيب ، والغيب يقوم ويعتمد على التسليم والتصديق المطلق لله – تعالى – ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – فالتسليم بالغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها ، قال تعالى : [آلم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ] ﴿ سورة البقرة ، الآية : ١ – ٣ ﴾ .والغيب لاُتدركه العقول ولا تحيط به ، ومن هنا ، فأهل السنة يقفون في أمر العقيدة على ما جاء عن الله وعن رسوله – صلى الله عليه وسلم – بخلاف أهل البدع والكلام ، فهم يخوضون في ذلك رجماً بالغيب ، وأني لهم أن يحيطوا بعلم الغيب ، فلا هم أراحوا عقولهم بالتسليم ، ولا عقائدهم وذممهم بالاتباع ، ولا تركوا عامة أتباعهم على الفطرة التي فطرهم الله عليها .

٣ – موافقتها للفطرة القويمة والعقل السليم : لأن عقيدة أهل السنة والجماعة تقوم على الاتباع والاقتداء والاهتداء بهدى الله – تعالى – وهدي رسوله – صلى الله عليه وسلم – وما عليه سلف الأمة ، فهي تستقي من مشرب الفطرة والعقل السليم ، والهدي القويم، وما أعذبه من مشرب ،أما المعتقدات الأخرى فماهي إلا أوهام وتخّرصات تعمي الفطرة ، وتحيّر العقول .

٤ – اتصال سندها بالرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين وأئمة الهدى قولاً وعملاً وعلماً واعتقاداً : فلا يوجد – بحمد الله – أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ليس له أصل وسند وقدوة من الصحابة والتابعين ، وأئمة الدين إلى اليوم ، بخلاف عقائد المبتدعة التي خالفوا فيها السلف ، فهي محدثة ، ولا سند لها من كتاب أو سنة ، أو عن الصحابة والتابعين ، وما لم يكن كذلك فهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

٥ – الوضوح والبيان : تمتاز عقيدة أهل السنة والجماعة بالوضوح والبيان ، وخلوها من التعارض والتناقض والغموض ، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها ، لأنها مستمدة من كلام الله المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن كلام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي لا ينطق عن الهوى . بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم ، وشتان بين المشربين ، لا سيما وأن العقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم

٦ – سلامتها من الاضطراب والتناقض واللبس : فإن العقيدة الإسلامية الصافية لاضطراب فيها ولا التباس ، وذلك لاعتمادها على الوحي ، وقوة صلة أتباعها بالله ، وتحقيق العبودية له وحده ، والتوكل عليه وحده ، وقوة يقينهم بما معهم من الحق ، وسلامتهم من الحيرة في الدين ، ومن القلق والشك والشبهات ، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلل ، أصدق مثال على ذلك ما حصل لكثير من أئمة علم الكلام والفلسفة والتصوف ، من اضطراب وتقلب وندم ، بسبب ما حصل بينهم من مجانبة عقيدة السلف ، ورجوع كثير منهم إلى التسليم ، وتقرير ما يتعقده السلف ، خاصة عند التقدم في السن ، أو عند الموت .

٧ – أنها سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين : من أبرز خصائص عقيدة أهل السنة : أنها من أسباب النجاح والنصر والتمكن لمن قام بها ودعا إليها بصدق وعزم وصبر .فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة . كما أخبرنا بذلك الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقوله : " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك "

٨ – هي عقيدة الجماعة والاجتماع : ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم ، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم ودياناهم ، لأنها تردهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين

٩ – البقاء والثبات والاستقرار : من أهم خصائص عقيدة أهل السنة : البقاء والثبات والاستقرار والاتفاق : فعقيدتهم في أصول الدين ثابتة طيلة هذه القرون ، وإلى أن تقوم الساعة ، بمعنى أنها متفقة ومستقرة ومحفوظة ، رواية ودراية ، في ألفاظها ومعانيها ، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل ، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف ، ولا التلفيق ولا الالتباس ، ولا الزيادة ولا النقص .

ومن أسباب ذلك : أنها مستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي لا ينطق عن الهوى ، وقد تلقاها الصحابة ثم التابعون ، وتابعوهم ، وأئمة الهدى المستمسكون بهديه – صلى الله عليه وسلم – إلى اليوم ، رواية ودراية ، تلقيناً وكتابة .

٢–معنى علم العقيدة ، وموضوعه، وأسماؤه ، وأهم الكتب المؤلفة فيه

معنى علم العقيدة : هو علم يعنى ببيان أصول الاعتقاد ومسائله ودلائله، والرد على المخالفين.

موضوع علم العقيدة :هو أركان الإيمان الستة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، ويتبع ذلك العقيدة في الصحابة وآل البيت والإمامة ، ونحو ذلك من الأصول التي خالف فيها بعض أهل البدع.

ويبين ابن أبي العز الحنفي موضوع علم العقيدة ، وطريقة ترتيب مباحثه، فيقول : (وأحسن ما يرتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»، الحديث – فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم، وثم، إلى آخره)

أسماء علم العقيدة: من مسميات هذا العلم عند أهل السنة :

١ – العقيدة : قال الشيخ بكر أبو زيد :(انتشر لفظ: (العقيدة) على: (التوحيد) ولا وجود لهذا الإطلاق: (العقيدة على هذا المعنى) في نصوص الوحيين، لكن لا نزاع في تسويغه)، لكن أصل الكلمة ورد في السنة ، ففي حديث زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاَ يَعْتَقِدُ قَلْبُ مُسْلِمٍ عَلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ) قَالَ: قُلْتُ: مَا هُنَّ؟

قَالَ: «إِخْلاَصُ الْعَمَلِ للهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلاَةِ الأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ » رواه الدارمي في سننه وأول من استخدم هذا المصطلح الإمام أبو حاتم الرازي "ت٣٢٧هـ" ففي كتابه الذي وسمه بـ"أصل السنة واعتقاد الدين"، وتلاه الإمام أبو بكر الإسماعيلي "ت٣٧١هـ" الذي وسم كتابه بـ"اعتقاد أئمة الحديث"، وتبعه الأئمة؛ كأبي القاسم اللالكائي "ت٤١٨هـ" في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، وأبي عثمان الصابوني "ت٤٤٩هـ" في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث"، وأبي بكر البيهقي "ت٤٥٨هـ" في كتابه "الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة"، وقوام السنة الأصبهاني "ت٥٣٥هـ" في كتابه "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، وغيرهم.

٢- **التوحيد** : وسمي بهذا الاسم ، من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه؛ لأن توحيد الله عز وجل هو أشرف مباحث علم العقيدة. أما المباحث الأخرى؛ من إيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، ومباحث الإمامة، والصحابة، وغيرها، فهي تعتمد عليه، وتستند إليه؛ إذ هو أساسها وجوهرها، فهي تدخل فيه بالاستلزام.

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم : التوحيد لا بن خزيمة (ت٣١١ هـ) ، والتوحيد لابن منده (ت٣٩٥ هـ) ، والتوحيد لعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠ هـ) ، والتوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ)

٣- **السنة** : قال شيخ الإسلام : (خلق كثير صنفوا في هذه الأبواب-يعني أبواب الاعتقاد- وسموا ذلك كتب السنة، ليميزوا بين عقيدة أهل السنة، وعقيدة أهل البدعة)

وقال ابن رجب : (السنة: طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات، ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم: عبارة عما سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة.)

ومن المصنفات بهذا الاسم : السنة لابن أبي شيبة "ت٢٣٥هـ". وأصول السنة للإمام أحمد (ت ٢٤١ هـ) والسنة لابن أبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ) ، والسنة لعبد الله بن أحمد ،(ت :٢٩٠ هـ)

٤ - **أصول الدين** : أصول الدين: هي ما يقوم وينبني عليه الدين. والدين الإسلامي يقوم على عقيدة التوحيد. ومن هنا سمي علم التوحيد أو علم العقيدة بـ"علم أصول الدين".

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم : الإبانة عن أصول الديانة (ت٣٢٩هـ) ، والشرح والإبانة عن أصول الديانة لابن بطة ،(ت : ٣٧٨ هـ) ، وأصل السنة والاعتقاد الدين لأبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ*

٥ – **الفقه الأكبر** : وسمي بالفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع، وأول من استخدم مصطلح "الفقه الأكبر" هو الإمام أبو حنيفة؛ النعمان بن ثابت "ت١٥٠هـ"؛ فقد روي عنه كتاب بهذا الاسم، وهو مشهور عند أصحابه، بحث فيه رحمه الله بعض مسائل الاعتقاد.

وكذلك ينسب للإمام الشافعي؛ محمد بن إدريس "ت٢٠٤هـ" كتاب باسم "الفقه الأكبر"، عرض فيه مسائل الاعتقاد بالتفصيل.

٦ – **الشريعة** : الشريعة في الأصل تشمل جميع ما شرعه الله تعالى ، ثم خصت بمسائل الاعتقاد عند طائفة من العلماء ، قال شيخ الإسلام : (اسم الشَّرِيعَةِ وَالشَّرْعِ وَالشِّرْعَةِ فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال وقد صنف الشيخ أبو بكر الآجري " كتاب الشريعة " وصنف الشيخ أبو عبد الله ابن بطة " كتاب الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية " وغير ذلك. وإنما مقصود هؤلاء الأئمة في السنة باسم الشريعة: العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان مثل اعتقادهم أن الإيمان قول وعمل وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله وأن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن الله خالق كل شيء وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه على كل شيء قدير. وأنهم لا يكفرون أهل القبلة بمجرد الذنوب ويؤمنون بالشفاعة لأهل الكبائر ونحو ذلك من عقود أهل السنة فسموا أصول اعتقادهم شريعتهم وفرقوا بين شريعتهم وشريعة غيرهم. وهذه العقائد التي يسميها هؤلاء الشريعة هي التي يسمي غيرهم عامتها " العقليات " و " علم الكلام " أو يسميها الجميع " أصول الدين " ويسميها بعضهم " الفقه الأكبر " وهذا نظير تسمية سائر المصنفين في هذا الباب كتاب السنة) .

ومن الكتب المصنفة بهذا الاسم (بالمعنى الخاص وهو الاعتقاد) : مثل : الشريعة ، لأبي بكر الآجري (ت : ٣٦٠ هـ) ، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لا بن بطة العكبري (ت ٣٨٧ هـ) ، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية

٧ – **الإيمان** : وأصل هذه التسمية حديث جبريل المشهور حين سأله عن الإيمان، فقال: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"

ووجه تسميته بذلك : أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الإيمان في هذا الحديث بالاعتقادات الباطنة .

ومن المصنفات بهذا الاسم مثل : الإيمان لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) ، والإيمان لابن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣ هـ) ، والإيمان لابن منده (ت ٣٩٥ هـ) والإيمان لابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ)

٣- المراد بمفهوم أهل السنة والجماعة ومصادر التلقي عندهم ومنهجهم في الاستدلال

هذا المسمى يجمع وصفين اثنين لأصحابه، وهما السنة، والجماعة.

فالسنة لغة : الطريقة والسيرة .

السنة اصطلاحاً : الهدي الذي كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه ، علماً واعتقاداً وقولاً وعملاً ، وهي السنة التي يجب اتباعها ، ويحمد أهلها ، ويُذم من خالفها ، وتُطلق السنة على سنن العبادات والاعتقادات ، كما تُطلق على ما يُقابل البدعة.

والجماعة لغة : من الاجتماع ، وهو ضد التفرق ، والجماعة هم القوم الذين اجتمعوا على أمر ما

الجماعة في الاصطلاح : هم سلف الأمة ، من الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، الذين اجتمعوا على الكتاب والسنة وعلى أئمتهم ، والذين ساروا على ما سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه والتابعون لهم بإحسان

وبإمكاننا بعدما علمنا معنى أهل، والسنة، والجماعة، أن نعرف أهل السنة والجماعة بأنهم المتبعون لمنهج الرسول –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه في الأصول والفروع.

وقيل: هم من كان على مثل ما كان عليه النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه اعتقادا وقولا وفعلا؛ لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– سئل عن الفرقة الناجية، فأجاب مرة بأنها ما كان عليه هو وأصحابه، وأخرى قال: هي الجماعة.

مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة : قال الإمام البيهقي : "فأما أهل السنة، فمعولهم فيما يعتقدون: الكتاب والسنة".

وقال شيخ الإسلام : (فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة)

وبيانها فيما يلي :

المصدر الأول : القرآن :قال تعالى : [اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ] ، وقال جل وعلا: ([إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ] ، وأحسن الطرق في تفسيره وفهمه : تفسير القرآن بالقرآن ، وإلا فبالسنة ، وإلا فبالصحيح من أقوال الصحابة ، وإلا فبما أجمع التابعون عليه .

المصدر الثاني: السنة : وهي المبينة للكتاب ، قال سبحانه [وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون]، إذ هي سنة المعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس لأحد عصمة بعده ، وقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم ما جاء به صلى الله عليه وسلم ونقلوه إلى الأمة .

المصدر الثالث: الإجماع : وهو الأصل الثالث عندهم في تلقي الاعتقاد ، والمقصود إجماع السلف لأن بعدهم كثر الاختلاف وتفرق الناس ، ولهذا قال الإمام أحمد : (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهم).

والأمة لا تجتمع على ضلالة ، وقد يخطئ بعض الأئمة ، إذ لا عصمة إلا لرسل الله ، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب الوحي ، ولكن لا يجتمعون على خطأ بحمد الله.

فأهل السنة والجماعة (يزنون بهذه الأصول الثلاثة (الكتاب والسنة والإجماع) جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين)

منهج أهل السنة في الاستدلال : يقوم منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة على القواعد التالية:

١ – يعتمد أهل السنة في تلقي الاعتقاد على الكتاب والسنة؛ وذلك لأن العقيدة توقيفية؛ فلا تثبت إلا بدليل من الشارع، ولا مجال فيها للرأي والاجتهاد

٢– قبول كل ما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم والاحتجاج به سواء أكان متواتراً أم آحاداً، وسواء كان في العقائد أو في الأحكام، خلافاً لجمهور المتكلمين الذين يردون أخبار الآحاد في الاعتقاد

٣– إيمانهم بجميع نصوص الكتاب والسنة، فيؤمنون بالنصوص كلها، ويردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك، ولا يأخذون ببعض الوحي ويردون بعضه كشأن المرجئة الذين أخذوا بنصوص الوعد دون نصوص الوعيد، وكحال الخوارج الذين أخذوا بنصوص الوعيد دون نصوص الوعد، وأمثالهم.

٤ – اعتقادهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ الدين كله أصوله وفروعه، وقد أكمل الله سبحانه لنا الدين وأتم

علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً: [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً] ﴿المائدة: ٣﴾. وتركنا – صلوات الله وسلامه عليه – على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، كما قال صلى الله عليه وسلم : «تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك». قال أبو الدرداء: «صدق الله ورسوله فقد تركنا على مثل البيضاء»

٥- اعتمادهم على تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة، ويعتمدون معاني لغة العرب؛ لأنها لغة القرآن والسنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»، ويردون ما يخالف ذلك من التحريفات الفاسدة الباطلة لنصوص الكتاب والسنة التي سموها تأويلاً لتروج وتقبل، قال ابن القيم: «فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد»

٦- اعتمادهم على تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم الأمة باللغة ومقاصد الشرع.

٧- التسليم بكل ما جاء عن الله ورسوله، قال الإمام الشافعي: «آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله» ،وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما أخبر به الرسول عن ربه فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف؛ لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه، وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها، مع أن هذا الباب عامته منصوص في الكتاب والسنة، متفق عليه بين سلف الأمة)).

٨- التعبير عن حقائق الإيمان بالألفاظ الشرعية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن، أولى من التعبير عنها بغيرها؛ فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه، والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع» .

٩- إيمانهم بأنه لا تعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، بل يصدق أحدهما الآخر ويشهد أحدهما بصحة الآخر،

وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه

١٠- الرجوع عند التنازع إلى الله ورسوله، قال تعالى: [فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ] ﴿ النساء: ٥٩ ﴾، «قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد موته هو الرد إلى سنته

١١- نفي التعارض بين نصوص الكتاب والسنة، فلا يمكن أن تتعارض نصوص الشرع الثابتة، لأنها من عند الله، قال تعالى: [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً] ﴿ النساء: ٨٢ ﴾،

٤-بيان اتفاق أئمة المذاهب الأربعة على عقيدة أهل السنة والجماعة مع ذكر أمثلة لذلك

اعتقاد الأئمة الأربعة - أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله - هو ما نطق به الكتاب والسُّنَّة وما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وليس بين هؤلاء الأئمة ولله الحمد نزاع في أصول الدين بل هم متفقون على الإيمان بصفات الرب وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان، بل كانوا ينكرون على أهل الكلام من جهمية وغيرهم ممن تأثروا بالفلسفة اليونانية والمذاهب الكلامية ... يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « ... ولكن من رحمة الله بعباده أن الأئمة الذين لهم في الأمة لسان صدق كالأئمة الأربعة وغيرهم ... كانوا ينكرون على أهل الكلام من الجهمية قولهم في القرآن والإيمان وصفات الرب، وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من أن الله يرى في الآخرة وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الإيمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان ... » .

وقال: «إن الأئمة المشهورين كلهم يثبتون الصفات لله تعالى ويقولون: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق ويقولون: إن الله يرى في الآخرة، هذا مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أهل البيت وغيرهم وهذا مذهب الأئمة المتبوعين مثل مالك بن أنس والثوري والليث بن سعد، والأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد ... »

ذكر نماذج لأقوال الأئمة الأربعة :

أولا: الإمام أبو حنيفة :

١- قال أبو حنيفة في الفقه الأبسط : (وقال: «لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السُّنَّة والجماعة وهو يغضب ويرضى ولا يقال: غضبه عقوبته ورضاه ثوابه، ونصفه كما

وصف نفسه أحدٌ صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، حيٌّ قادر سميع بصير عالم، يد الله فوق أيديهم ليست كأيدي خلقه ووجهه ليس كوجوه خلقه».

٢-وقال في الفقه الأكبر: «وله يد ووجه ونفس، كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته، لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال»

٣-وقال في الفقه الأكبر: «وصفاته بخلاف صفات المخلوقين يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويسمع لا كسمعنا، ويتكلم لا ككلامنا»

٢- الإمام مالك:

١-أخرج أبو نعيم عن جعفر بن عبد الله قال: «كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته. فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء - يعني العرق - ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج»

٢- وأخرج أبو داود عن عبد الله بن نافع قال: «قال مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان»

٣- وأخرج ابن عبد البر عن عبد الرزاق بن همام قال: «سمعت ابن جريج وسفيان الثوري ومعمر بن راشد وسفيان بن عيينة ومالك بن أنس يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»

٣-الإمام الشافعي :

١- أورد الذهبي في السير عن الشافعي أنه قال: «نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]

٢-وأورد ابن القيم في اجتماع الجيوش عن الشافعي أنه قال: «القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»

٣-أخرج ابن عبد البر عن الربيع قال: «سمعت الشافعي يقول: «الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب، ألا ترى قول الله عز وجل: [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ] ﴿البقرة: ١٤٣﴾، يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيمانًا وهي

قول وعمل وعقد»

٤- الإمام أحمد :

١- أورد ابن أبي يعلى عن عبد الله بن أحمد قال: «سألت أبي عن قوم يقولون: لما كلّم الله موسى لم يتكلم بصوت فقال أبي: تكلم الله بصوت وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت»

٢- وأورد ابن أبي يعلى عن أبي بكر المروزي قال: «سألت أحمد بن حنبل عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات والرؤية والإسراء وقصة العرش فصححها وقال: تلقتها الأمة بالقبول وتمر الأخبار كما جاءت»

٣- قال عبد الله بن أحمد: «سمعت أبي - رحمه الله - سُئل عن الإرجاء فقال: نحن نقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه»

مصادر التلقي عند المخالفين لأهل السنة والجماعة :

أولا : مصدر التلقي عند أهل الكلام :

المصدر الأول لتلقي العقيدة عند أهل الكلام هو العقل، يقول أبو علي الجبائي المعتزلي : (إن سائر ما ورد به القرآن من التوحيد والعدل ورد مؤكدا لما في العقول، فأما أن يكون دليلا بنفسه يمكن الاستدلال به ابتداء فمحال) ، ثم تأثر أكثر الأشاعرة بهذا المنهج ، وهذا غلو في تقديس العقل .

الرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول: أن منشأ اعتماد المتكلمين على العقل وتقديمه على النقل هو ظنهم أن النقل مجرد خبر يجب التصديق به، والحقيقة أن القرآن قد أقام الأدلة العقلية على جميع أصول الاعتقاد، مما هو أقوى وأشرف وأسلم من أدلة المتكلمين ، يقول شيخ الإسلام : (إن كان يظن طوائف من المتكلمين والمتفلسفة أن الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق، فدلالته موقوفة على العلم بصدق المخبر، ويجعلون ما يبنى عليه صدق المخبر معقولات محضة، فقد غلطوا في ذلك غلطا عظيما، بل ضلوا ضلالا مبينا في ظنهم أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد، بل الأمر ما عليه سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان من أن الله سبحانه وتعالى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء قدره، ونهاية ما يذكرونه جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه)

ويقول أيضا : (قد ذكرنا في غير موضع أن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمّداً صلى الله عليه وسلم قد بيّنها في القرآن أحسن بيان، وبيّن دلائل الربوبية والوحدانية، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبيّن دلائل نبوة أنبيائه، وبيّن المعاد

بين إمكانه وقدرته عليه في غير موضع، وبيَّن وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية؛ فكان في بيان الله أصول الدين الحقّ؛ وهو دين الله؛ وهي أصول ثابتة، صحيحة، معلومة؛ فتضمّن بيان العلم النافع، والعمل الصالح؛ الهدى، ودين الحق.

وأهل البدع الذين ابتدعوا أصولَ دينٍ يخالف ذلك، ليس فيما ابتدعوه؛ لا هدى، ولا دين حقّ؛ فابتدعوا ما زعموا أنّه أدلّة وبراهين على إثبات الصانع، وصدق الرسول، وإمكان المعاد أو وقوعه. وفيما ابتدعوه ما خالفوا به الشرع. وكلّ ما خالفوه من الشرع، فقد خالفوا فيه العقل أيضاً؛ فإنّ الذي بعث اللهُ به محمّداً، وغيرَه من الأنبياء: هو حقّ، وصدق، وتدلّ عليه الأدلة العقلية؛ فهو ثابت بالسمع، و بالعقل)

الوجه الثاني : هذه الدعوى مبنية على فرضية لا حقيقة لها البتة ، وهي دعوى تعارض العقل مع النقل، وهي دعوى باطلة ، وسيأتي بيان بطلانها في مبحث مستقل

ثانيًا : مصدر التلقي لدى الصوفية: لما غالى المتكلمون في الاعتماد في التلقي على العقل قابلهم كثير من الصوفية ، فعطلوا العقل وذموه ، واعتقدوا أن الولاية لا تنال إلا بفقده، ومدحوا البله والمجانين، قال شيخ الإسلام : (وكثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل. ويمدحون السكر والجنون والوله وأمورا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز) .

وقد اعتمدوا على مصادر وهمية تتبين فيما يلي :

أولا: الكشف والشهود : يحصر ابن عربي مصادر العلم عندهم فيما يسمونه بالكشف والشهود، فيقول : (لا علم إلا ما كان عن كشف و شهود)، (ومن لا كشف له، لا علم له) ، وحقيقة الكشف عندهم، يبينها الغزالي بقوله : (فنعني بعلم المكاشفة: أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه)

والشهود عندهم هو: مشاهدة الملائكة والأنبياء في اليقظة والتلقي عنهم، يقول الغزالي: (إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون أصواتاً، ويقتبسون منهم فوائد).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان بطلان ذلك: «إن ابن عربي وهؤلاء يعظمون طريق الكشف والمشاهدة والرياضة والعبادة، ويذمون طريق النظر والقياس، وما يدعونه من الكشف والمشاهدة عامته خيالات في أنفسهم، ويسمونها حقيقة ؛ ولهذا يقول : باب أرض الحقيقة، وهي أرض الخيال، وقد ادعى أن الفتوحات المكية ألقاها إليه روح بمكة، وإذا كان صادقًا فقد ألقاها إليه شيطان من الشياطين، كما كان مسيلمة الكذاب يلقي إليه شيطان، وكذلك الأسود العنسي،

وكذلك غيرهما من المتنبئين الكذابين)

ثانيًا: ومما يعتمدون عليه أيضًا في التلقي: ما يسمونه الإلهام: حتى إنهم يعدونه بمثابة الوحي من الله تعالى، يقول الغزالي : (ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم؛ فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة)، وقال ابن عربي : «فمن كان يأخذ عن الله لا عن نفسه، كيف ينتهي كلامه أبدًا؟! فشتان بين مؤلف يقول : حدثني فلان رحمه الله عن فلان رحمه الله ، وبين من يقول : حدثني قلبي عن ربي، وإن كان هذا الأخير رفيع القدر ، فشتان بينه وبين من يقول : حدثني ربي عن ربي، أي حدثني ربي عن نفسه)

قال شيخ الإسلام : (وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: «حدثني قلبي، عن ربي» فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عن من؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي. كان مسند الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب. قال: ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوه به يوما من الدهر، وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك؛ بل كتب كاتبه يوما: «هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» فقال: «لا امحه، واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمن عمر والله ورسوله منه بريء» وقال في الكلالة: «أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان»

ثالثًا: ويدعون أنهم يتلقون عن الرسول صلى الله عليه وسلم في اليقظة: يقول الشعراني : (سمعت عليًّا الخواص يقول : لا يكمل عبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة)

وهذا كله من تلبيس الشياطين ، فقد ذكر شيخ الإسلام أن (الشياطين كثيرا ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول: أنا الشيخ فلان أو العالم فلان وربما قالت: أنا أبو بكر وعمر وربما أتى في اليقظة دون المنام وقال: أنا المسيح أنا موسى أنا محمد وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها وثم من يصدق بأن الأنبياء. يأتون في اليقظة في صورهم وثم شيوخ لهم زهد وعلم وورع ودين يصدقون بمثل هذا. ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه.)

قال ابن عبد البر لمن ظن أنه حين يأتي إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من قبره في صورته فيكلمه ، وظن هذا من كراماته : (ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟ فهل في هؤلاء من سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد الموت وأجابه؟ . وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأجابهم وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سألته فأجابها؟)

ثالثا : مصدر التلقي لدى الرافضة : العمدة في التلقي عندهم : قول الإمام ؛ ولذا يسمى الإسماعيلية بالتعليمية ؛ لاعتمادهم على ما يسمونه تعاليم المعصوم، قال الغزالي: (وأما التعليمية فإنهم لقبوا بها ؛ لأن مبدأ مذاهبهم إبطال الرأي، وإبطال تصرف العقول، ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم، وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم " .

أما الاثنا عشرية فالمصدر عندهم أيضًا هو قول الإمام الذي يدعون عصمته، حتى إنهم يزعمون أن قوله كقول الله ورسوله، فقالوا كما في شرح جامع على الكافي : (إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله ، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى) ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقالوا : يجوز لمن سمع حديثا عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) أن يرويه عن أبيه، أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول قال الله تعالى) ، ولهذا نصوا في دستورهم (الدستور الإيراني) على أن السنة هي سنة المعصومين ، لا سنة رسول الله ﷺ المعصوم وحده، ذلك «أن الإمامة استمرار للنبوة» عندهم، فالنص النبوي استمر – بزعمهم – إلى ما يسمونه الغيبة الكبرى سنة ٣٣٠هـ تقريباً ، ثم إنهم جمعوا كثيرا مما نقله الوضاعون، ونسبوها لبعض أئمة أهل البيت، وسموها صحاح الإمامية، وانفصلوا عن عموم المسلمين في مصدر التلقي ، فلا يرجعون إلى دواوين السنة التي يرجع إليها عموم المسلمين .

وهذا الاعتقاد عند هذه الطوائف المنتسبة للتشيع – وهو الاعتماد على قول الإمام في التلقي – اعتقاد باطل بنص القرآن، قال جل وعلا : [فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] ولم يقل : وإلى الإمام، وقال تعالى [رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل] ولم يقل : والأئمة، وهذه الأدلة صريحة في إبطال قولهم؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن هذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسل حاجة عامة كالأئمة) .

مناقشة دعوى تقديم العقل على النقل

من أهم المبادئ التي اجتمع عليها المتكلمون تقديم العقل على النقل، وهي السمة البارزة لدى الفلاسفة والمتكلمين، سواء كانوا جهمية أو معتزلة أو أشعرية أو ماتريدية، فكل هؤلاء قدموا العقل على النقل، بل كثير منهم لا يعتبر إمكانية الوصول إلى الحق إلا عن طريق العقل.

ومن الأمثلة على ذلك قول القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه "شرح الأصول الخمسة" ص ٨: "الدلالة أربعة: حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل"، وقال الإيجي في المواقف وهو من الأشاعرة: "ما يتوقف عليه النقل مثل وجود الصانع ونبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهذا لا يثبت إلا بالعقل ... ثم قال: الدلائل

النقلية هل تفيد اليقين؟ قيل لا. ثم قال بعد أن ذكر أن الدليل النقلي أي الشرعي يفيد الظن قال: لا بد من العلم بعدم المعارض العقلي، إذ لو وجد لقدم على الدليل النقلي قطعا"، وقال الجويني الأشعري: "إنه إذا ورد الدليل السمعي مخالفا لقضية العقل فهو مردود قطعا: "، وقال الرازي وهو أشعري: "اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك ... يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها"

فهذا شأن أهل البدع من المتكلمين والفلاسفة تقديم العقل على النقل واعتبار العقل الأصل والشرع فرع له، لهذا عند التعارض لا يقيمون للنقل والشرع وزنا.

دليلهم: المتكلمون عموماً قدموا العقل على النقل بدون أن يكون لهم أدنى دليل شرعي أو حتى دليل عقلي إنما قعدوا قاعدة فقالوا: إن العقل هو أصل الشرع فلهذا لا يستدل بالفرع على الأصل.

الرد عليهم: لا شك أن المتكلمين قد اضطربت أفهامهم وفسد حسهم الديني، حتى زعموا أن العقل مقدم على الشرع بدون أن يكون لهم أدنى دليل شرعي أو عقلي صحيح سوى الدعوى بأن العقل أصل والشرع فرع. وفساد هذه الدعاوي وبطلانها ظاهر من أوجه عدة:

أولاً – الرد عليهم في دعواهم أن العقل أصل والشرع فرع:

١ – نسأل المتكلمين: ما هو العقل الذي يجعلونه مقدماً على الشرع؛ هل هو عقل الفلاسفة اليونانيين الوثنيين أم عقول الجهمية، أم عقول المعتزلة أم عقول الأشاعرة؟ فهؤلاء جميعا يدعون العقل وهم مختلفون.فأي عقل من تلك العقول يزعم هؤلاء المتكلمون أنه مقدم على الشرع.

٢ – إن معرفة الله تعالى والإيمان به ليس منوطاً بالأدلة العقلية كما يتوهم المتكلمون، لأن معرفة الله والإقرار به قد جعله الله في فطر بني آدم، كما أن جل الذين آمنوا من بني آدم إن لم يكن كلهم قد اهتدوا إلى الإيمان بدون أن يعرفوا تلك الأدلة، كما أن الهداية هي من الله تعالى فليست منوطة بالعقل أو بالأدلة العقلية، بل هي نور من الله يقذفه في قلب من شاء من عباده. فعلى هذا تكون دعوى المتكلمين إن الأدلة العقلية هي التي استدلوا بها على الله تعالى كاذبة خاطئة.

٣ – إذا كان العقل دل المتكلمين على صحة الشرع وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن الواجب عليهم هنا أن يسلموا للشارع وينقادوا لكلامه، لأنه أمرهم بذلك، وهم قد أقروا لله بالألوهية وللرسول عليه الصلاة والسلام بالرسالة. فيلزمهم بناء على ذلك أن لا يقدموا على كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم رأياً ولا هوى ولا

قول أحد من الناس، لأن الله أمرهم بذلك.

ثانياً – الرد عليهم بادعاء التعارض بين العقل والنقل:

المتكلمون يزعمون وجود تعارض بين العقل والنقل في المسائل التي خالفوا فيها الحق، وهذه دعوى غير صحيحة بنفسها، ولا وجود لها إلا في عقولهم المريضة، أما الواقع فإن العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح. والدليل على ذلك أمور:

أ – أن الذي خلق العقل هو الذي أنزل الشرع فكيف يمكن أن يكون بينهما تعارض.

ب – أن الله تعالى في القرآن الكريم قد دعا في مواطن عديدة إلى استخدام العقل والنظر من خلاله إلى آياته وبيناته ليصل الإنسان إلى الإيمان بالله ورسله قال جل وعلا: [أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا] ﴿محمد٢٤﴾ وقال تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ] ﴿سبأ٤٦﴾ .

ج – أن الله عز وجل قد أبان في مواطن عدة من كتابه أن سبب هلاك من هلك من أهل النار أنهم لم يستخدموا عقولهم الاستخدام الصحيح قال تعالى: [وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ] ﴿الملك١٠﴾ وقال: [وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ] ﴿الأعراف١٧٩﴾ . فلهذا لا يمكن أن يكون بين العقل الصحيح والنقل الصحيح تعارض بحال من الأحوال.

ثالثاً – الرد عليهم في تقديم العقل على النقل في حال التعارض: إن تقديم العقل على النقل في حال التعارض انحراف عن دين الله وفساد وهو باطل من عدة وجوه:

١ – أن الله تعالى أمرنا باتباع كتابه وسنة نبيه ولم يأمرنا باتباع العقل كما لم يجعل اتباع الكتاب والسنة مشروطا بموافقة العقل وقبوله للأمر، فمن قدم العقل على الشرع أو قيد قبوله للشرع بموافقة العقل فقد افترى على الله عز وجل وقيد كلام الله وأمره بقيد من عند نفسه.

٢ – أن تقديم العقل على النقل يؤدي إلى إبطال الشرع، وذلك أن العقول متفاوتة متباينة، وأصحابها أكثر الناس اختلافا، فيؤدي ذلك إلى أن كل صاحب مذهب منحرف وهدف سيئ يدعي أن الشرع مخالف لعقله فيبطل الشرع وتندرس معالمه.

٣ – أن من زعم أنه لا يقبل الشرع إلا إذا وافقه العقل فيه شبه من إبليس حيث رد الأمر بما يرى أنه حجة عقلية، فقد أمره الله تعالى بالسجود، فاحتج على ذلك بأنه خير من المسجود له لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين فعارض الأمر بعقله فاستحق اللعن والإبعاد من رحمة الله.

٤ – إن الإيمان لا يثبت في القلب إلا بالتسليم والاستسلام للشرع، أما معارضته بالشبه العقلية وعرضه عليها فإن ذلك مورث للشك والحيرة، وهذا أمر معلوم مجرب، وقد صرح به كبار أئمة الكلام، حيث أكدوا أنهم قد أوقعوا أنفسهم في الحيرة والشك، الذي نسأل الله العافية لا مخرج منه، وذلك لأنهم قد هدموا يقينهم، وخلخلوا عقيدتهم بالشبه العقلية والمناهج الفلسفية.

وفي هذا يقول محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي صنفه: "أقسام اللذات":

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعى العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] ، [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ] ، وأقرأ في النفي: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] ، [وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً] . ثم قال: "ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي".

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في كتابه "نهاية الأقدام في علم الكلام"

لقد طفت في تلك المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ... ذقن أو قارعا سن نادم "

وقال شمس الدين الخسر وشاهي وقد دخل عليه بعض الفضلاء يوما فقال: "ما تعتقد؟ قال: "ما يعتقده المسلمون" فقال شمس الدين: "وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به؟ فقال الرجل: نعم. فقال شمس الدين: "اشكر الله على هذه النعمة، لكني والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، وبكى حتى اخضل لحيته".

مناقشة دعوى عدم الاستدلال بأخبار الآحاد في العقيدة

الأخبار تنقسم إلى قسمين : تواتر ، وآحاد

والتواتر ما رواه جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب وكان مستند خبرهم الحس، أما ما لم يصل إلى هذا

الحد فإنه يكون من الآحاد

مذهب السلف في خبر الآحاد : الذي عليه السلف قاطبة أن أخبار الآحاد حجة يجب العمل بها إذا صحت وثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويستدلون على ذلك بنصوص الكتاب والسنة والإجماع .

فمن أدلة الكتاب : ١- قال تعالى [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَّ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهَّ].

وجه الدلالة : قال ابن القيم: (أجمع المسلمون أن الرد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته، والرجوع إلى سنته بعد مماته، واتفقوا على أن فرض هذا الرد لم يسقط بموته، فإن كان متواتر أخباره وآحادها لا تفيد علماً، ولا يقيناً لم يكن للرد إليه وجه)

٢-وقول تعالى [وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ]. ﴿التوبة: ١٢٢﴾

وجه الدلالة : أن الله تعالى أمر الطائفة النافرة أو الباقية بالتفقه في الدين ، وبإنذار قومها بما تفقهت فيه ، ولفظ الطائفة في لغة العرب يقع على الواحد فما فوق، وهذا دليل صريح على وجوب الأخذ بخبر الواحد، سواء في العقائد أو الأحكام وإلا لما جاز للطائفة أن تنذر قومها.

٣- قوله تعالى : [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا] وفي القراءة الأخرى (فتثبتوا) ، فإنها تدل على أن من لم يكن فاسقا بأن كان عدلا إذا جاء بخبر ما فالحجة قائمة به، وأنه لا يجب التثبت بل يؤخذ حالا .

ومن أدلة السنة :١- عن ابن مسعودٍ - رضي اللهَّ عنه- قال: قال رسول اللهَّ صَلَّى اللهَّ عليْهِ وسَلَّم: «نضر اللهَّ عبدا سمِع مقالتي فحفِظها ووعاها، وأداها، فرب حاملِ فقهٍ غير فقيهٍ، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه » رواه أحمد

وجه الدلالة : أنه أمر كل عبد يسمع مقالته أن يبلغها ، مع إمكانه كونه غير فقيه ، والعبد حقيقة للشخص الواحد ، ولا يأمر بالبلاغ إلا وخبره مما تقوم الحجة به .

٢- وعن ابن عمر قال : (بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ أتاهم آت فقال إن رسول الله قد أنزل عليه قرآن وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة) متفق عليه

٣-ما اشتهر واستفاض بالنقل المتواتر من بعث النبي صلى الله عليه وسلم آحاد الصحابة إلى الناحي والأمصار بالدعوة إلى الإسلام ، وتبليغ أحكامه وعقائده وشرائعه ، كبعثه أبا بكر على الحج، وبعثه عليًّا قاضيًّا إلى اليمن ، وبعثه معاذًا إلى

اليمن داعيًا إلى الإسلام وغير ذلك من الوقائع

وأما الإجماع :فقد حكاه غير واحد من العلماء ،قال الخطيب البغدادي: (وعلى العمل بخبر الواحد كان كافة التابعين، ومن بعدهم من الفقهاء في سائر أمصار المسلمين إلى وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحد منهم إنكار لذلك، ولا اعتراض عليه ، فثبت أن من دين جميعهم وجوبه، إذ لو كان فيهم من كان لا يرى العمل به لنقل إلينا الخبر عنه بمذهبه فيه.)

وقال ابن عبد البر : (وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات ويعادى ويوالى علها ويجعلها شرعا ودينا في معتقده على ذلك جماعة أهل السنة)

مذهب المخالفين في خبر الآحاد: ذهب كثير من المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم إلى أن خبر الآحاد ليس بحجة في باب الاعتقاد ،لأنه يفيد الظن وما كان كذلك فيحتج به في الأحكام دون العقائد .

وحجتهم في ذلك : أن أدلة العقائد لابد أن تفيد اليقين، وأحاديث الآحاد لا تفيد اليقين بل هي ظنية، والظن لا يجوز أن يحتج به في العقائد، لقوله تعالى [إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ].

وقوله تعالى [وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا]. ، ونحو ذلك من الآيات التي يذم الله فيها المشركين لإتباعهم الظن، فدل ذلك على عدم حجية أحاديث الآحاد في العقائد لأنها تفيد الظن ولا تفيد اليقين، والظن قد ذمه الله تعالى في كتابه.

والجواب عن هذه من وجوه :

الوجه الأول : أن الظن الوارد في الآية ليس المقصود به الظن الذي عنوه ، وإنما المقصود به هو الشك والكذب والخرص والتخمين ، فقد جاء في "النهاية" و "اللسان" وغيرها من كتب اللغة: "الظن: الشك يعرض لك في الشيء فتحققه وتحكم به ، فهذا هو الظن الذي نعاه الله تعالى على المشركين ومما يؤيد ذلك قوله تعالى فيهم: [إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] ، فجعل الظن هو الخرص الذي هو مجرد الحزر والتخمين

الوجه الثاني: لو كان الظن المعني به على المشركين هو الظن الغالب أو الراجح، فإنه لا يجوز الأخذ به في الأحكام أيضاً، لأن الله أنكر على المشركين الأخذ بالظن إنكاراً مطلقاً، ولم يخصه بالعقيدة دون الأحكام، فكيف تقبلونه في الأحكام وتردونه في العقائد.

الوجه الثالث : أن قولهم أن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن الراجح ، ولا يفيد اليقين والعلم القاطع ، غير مسلم لهم فخبر الآحاد يفيد العلم واليقين إذا احتفت به القرائن ، وذلك مثل تلقي الأمة له بالقبول ، قال ابن تيمية: (ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقًا له أو عملاً به أنه يوجب العلم) .

الوجه الرابع :أن يقال لهم أن أخبار الآحاد لولم تفد اليقين، فإن الظن الغالب حاصل منها، ولا يمنع إثبات العقائد بها كما لا يمنع إثبات الأحكام الطلبية بها ، والتفريق بينهما في الإثبات باطل بإجماع الأمة كما قرره ابن القيم

الوجه الخامس :أن القول بأن أحاديث الآحاد لا يحتج بها في العقائد ، قول مبتدع حادث لا أصل له في الشريعة ، وكل ما كان كذلك فهو قول مردود

الوجه السادس : أن السلف مجمعون على قبول خبر الآحاد ، واعتباره حجة ، ولا يعرف قط عن أحد من السلف أنه رد خبرا في العقائد أو الأحكام لمجرد كونه من أخبار الآحاد.

الوجه السابع : أن الأدلة الدالة على وجوب الأخذ بأدلة الكتاب والسنة تشمل العقائد والأحكام ، فتخصيص هذه الأدلة بالأحكام دون العقائد إذا كانت آحادًا تخصيص من غير مخصص

الوجه الثامن : أن مآل الأَخْذ بهذا القول، هو الاقْتِصار في العقيدة على ما جاء به القرآن، وترك العمل في العقائد بالأحاديث النبوية، وعدم الاعْتِداد بما جاء فيها من الأمور الغَيْبِيَّة ،لأن أكثر الأحاديث النبوية آحادٌ، والمتواتر منها قليل بالنسبة إلى الآحاد..

الوجه التاسع : يلزم من هذا القول الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم -، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل الواحد من أصحابه ليبلغ دين الله، فإذا لم يقبل قوله لأنه آحاد كان ذلك قدحا في النبي صلى الله عليه وسلم

الوجه العاشر : أن هذا القول يقتضي ترك العمل بأحاديث الآحاد التي فيها عقيدة وعمل ، لأن عدم الأخذ بها في العقائد رد لها ، فكيف يؤخذ بها في الأحكام ؟!

ثانيًا : توحيد الإثبات والمعرفة، وأنواعه:

١ -مقدمة في تقسيم التوحيد وأدلته والعلاقة بين هذه الأقسام

أولا: التوحيد لغة: مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً

التوحيد شرعا: إفراد الله سبحانه وتعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

ثانيا: أقسام التوحيد : تنوعت عبارات العلماء رحمهم الله في تقسيمهم للتوحيد فمنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام وهي :

توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات

ومن العلماء من قسمه إلى قسمين: توحيد في المعرفة والإثبات ، وتوحيد في القصد والطلب.

وهذا التقسيم الثنائي راجع إلى التقسيم الثلاثي ، فتوحيد الألوهية هو توحيد القصد والطلب ، وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات هما توحيد المعرفة والإثبات

ولا منافاة بينهما فمن قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام فباعتبار متعلق التوحيد، ومن قسمه إلى قسمين فباعتبار ما يجب على الموحد.

الأدلة على تقسيم التوحيد : دل على هذا التقسيم استقراء النصوص الشرعية، قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد : "هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن مندة وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزبيدي في تاج العروس وشيخنا الشنقيطي في أضواء البيان في آخرين رحم الله الجميع، وهو استقراء تامٌّ لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كلِّ فنٍّ، كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب، وهكذا من أنواع الاستقراء"

ونذكر هنا بعض الأدلة الدالة على هذا التقسيم :

١-توحيد الربوبية : معناه : توحيد الله بأفعاله ، وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بالملك والخلق والتدبير ، ومن الأدلة الدالة على ذلك : قول الله تعالى: [الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ،وقوله تعالى : (رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) وقوله: [أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] ، وقوله: [قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ] ، وقوله: [قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ] ، وقوله: [ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] ، وقوله: [اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] ، وغيرها من الآيات.

٢-توحيد الألوهية : وهو إفراد الله تعالى بالعبادة ، وذلك بإخلاص العبادة له ، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره، لأنه سبحانه المستحق أن يعبد وحده لا شريك له ، والأدلة على قوله تعالى: [وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا] ، وقوله: [وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ] ، وقوله: [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ] ، وقوله: [قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ]. وغيرها من الآيات.

٣- توحيد الأسماء والصفات: وهو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى به نفسه، ووصف به نفسه؛ في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، نفيا وإثباتا؛ فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه؛ من غير تحريف ولا

تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل

والأدلة على توحيد الأسماء والصفات قوله تعالى: [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] ، وقوله: [قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى] ٢، وقوله: [هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً] ٣، وقوله: [اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَآءُ الحُسْنَى] ٤، وقوله: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] ٥، وآخر سورة الحشر، وغيرها من الآيات.

ومن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد الثلاثة قول الله تبارك وتعالى في سورة مريم: [رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً]

يقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله موضحا ذلك: "فقوله: [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] هذا توحيد الربوبية. وقوله: [فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ] هذا توحيد الألوهية.

وقوله: [هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا] هذا توحيد الأسماء والصفات؛ أي: لا تعلم له سميا؛ أي: مساميا يضاهيه ويماثله عز وجل"

العلاقة بين أنواع التوحيد : توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية؛ لأن من عبد الله وحده لا بد أن يكون قد اعتقد أنه الرب المالك الخالق المدبر المستحق للعبادة، وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، ويدل عليه ويوجبه؛ ولهذا أقام الله الحجة على المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية، كما أن توحيد الأسماء والصفات يتضمن الربوبية؛ لأن الرب من أسماء الله جل وعلا، ولا يسمى به سواه عند الإطلاق، حتى قيل : إنه الاسم الأعظم ، ويتضمن أيضا الألوهية .

وكذلك توحيد الربوبية والألوهية مستلزمان لتوحيد الأسماء والصفات ، لأن من آمن بانفراد الله بالخلق والملك والتدبير لزمه أن يفرده بالعبادة، ومن أفرد الله بالعبادة لزمه اعتقاد اتصاف الرب المعبود بصفات الجلال ونعوت الكمال .

قال ابن القيم رحمه الله: "والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها، هي العبادة والتأليه. ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاحتج الله عليهم به؛ فإنه يلزم من الإقرار بتوحيد الإلهية".

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا على وجوب توحيده في عبادته. ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته، احتج بها عليهم، على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ووبخهم منكرا عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده؛ لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده، لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده"

٢-معنى تو حيد المعرفة والإثبات وأنواعه .

معنى تو حيد الإثبات والمعرفة : هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله صلى الله عليه وسلم.

أنواع توحيد المعرفة والإثبات : نوعان :

الأول : توحيد الربوبية . والثاني : توحيد الأسماء والصفات

٢- تعريف توحيد الربوبية وأدلته :

معنى الرب لغة: الرب لغة يأتي لعدة معان، منها: المربي، والمالك. يقال: رب كل شيء: مالكه، ومستحقه، أو صاحبه

معنى الربوبية في الاصطلاح : ١- إفراد الله -عز وجل- بالخلق، والملك، والتدبير.

٢- إفراد الله بأفعاله .

أدلة توحيد الربوبية :

أ- دلالة الفطرة على وجوده - سبحانه-: فإنَّ كل مخلوق قد فُطِرَ على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير، أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلاَّ من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا ويولدُ على الفطرة، فأبواهُ يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)

ب-دلالة الخلق : إن وجود الموجودات بعد العدم، وحدوثها بعد أن لم تكن، يدل بداهة على وجود من أوجدها وأحدثها ، ويدل على ذلك قوله تعالى: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) ﴿سورة الطور: ٣٥﴾ . يعني: أنهم لم يُخْلَقُوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقُوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السموات وَالأَرْضَ لا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) ﴿سورة الطور: ٣٥-٣٧﴾ .

وكان جبير يومئذ مشركًا قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي)

ج-دلالة الاتقان : وقد أشار القرآن العزيز إلى هذه الدلالة في مواضع كثيرة ، كقوله تعالى : (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوات) ، وقوله تعالى : (صُنْعَ اللهِّ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) ، وقوله تعالى : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)وغير ذلك من الآيات المنبهة إلى ما وجد عليه العالم من نظام دقيق ، وإحكام مقصود ، لا يمكن بحال أن يكون من غير مكون ، ولا أن يستمر ويدوم دون خلل من غير مدبر مقدر

د-دلالة الضرورة والاضطرار : وهذه من الأدلة العظيمة على ربوبية الله عز وجل وتفرده بالضر والنفع وحده ،فما يقع للإنسان من شدة وكرب إلا لجأ إلى ربه وحده وأعرض عن كل ما سواه ، لعلمه بانفراد الرب عز وجل بالملك والخلق والتدبير دون ما سواه ، ويدل على ذلك قوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا) وقوله تعالى : ((فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)

منهج القرآن في بيان توحيد الربوبية

سلك القرآن عددًا من الأساليب في بيان توحيد الربوبية، وقد سبق ذكر بعض منها في أدلة توحيد الربوبية ، ويضاف إلى ما سبق :

أولًا: تفرد الله عز وجل في ربوبيته : قال تعالى: [مَا اتَّخَذَ اللهُّ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ] ﴿المؤمنون: ٩١﴾ .

فالإله الحق لا بد أن يكون خالقًا فاعلًا، فلو كان معه سبحانه إله آخر، يُشاركه في مُلكه - تعالى الله عن ذلك - لكان له خلق وفعل، وحينئذٍ فلا يرضى شِركَةَ الإله الآخر معه؛ بل إن قدر على قهر شريكه وتفرَّد بالملك والإلهية دونَهُ فعل. وإن لم يقدر على ذلك انفرد بنصيبه في الملك والخلق؛ كما ينفرد ملوكُ الدنيا بعضهم عن بعض بملكه، فيحصل الانقسام. فلا بُدَّ من أحد ثلاثة أمور:

أ - إما أن يقهر أحدهما الآخر وينفردَ بالملك دونه. ب - وإما أن ينفردَ كُلُّ واحد منهما عن الآخر بملكه وخلقه؛ فيحصل الانقسام.

ج - وإما أن يكونا تحت مَلِكٍ واحدٍ يتصرّفُ فيهما كيف يشاء؛ فيكون هو الإله الحق وهم عَبيدُه.

وهذا هو الواقعُ، فإنه لم يحصل في العالم انقسام ولا خلل؛ مما يَدُلُّ على أنَّ مدبره واحدٌ، لا منازع له، وأن مالكه واحد لا شريك له.

ثانيًا: تسخيرُ المخلوقاتِ لأداء وظائفها، والقيام بخصائصها:

فليسَ هُناك مخلوق يستعصي ويمتنع عن أداء مهمته في هذا الكون، وهذا ما استدل به موسى – عليه السلام – حين سأله فرعون: [قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى] ﴿طه: ٤٩﴾ أجاب موسى بجواب شافٍ كافٍ فقال: [رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] ﴿طه: ٥٠﴾ أي: ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به؛ من كبر الجسم وصغره وتوسطه وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهدايةُ هي هداية الدلالة والإلهام، وهي الهدايةُ الكاملةُ المشاهدَةُ في جميع المخلوقات، فكلُّ مخلوق تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المَضَارِّ عنه، حتى إنَّ الله أعطى الحيوان البهيم من الإدراك ما يتمكن به من فعل ما ينفعه، ودفع ما يضره، وما به يؤدي مهمته في الحياة، وهذا كقوله تعالى: [الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ] ﴿السجدة: ٧﴾

أدلة وجود الله عز وجل : الأدلة على وجود الله عز وجل : دلَّ على وجوده – تعالى –: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس:

١ – **أما دلالة الفطرة على وجوده – سبحانه–:** فإنَّ كل مخلوق قد فُطِرَ على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير، أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلاَّ من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا ويولدُ على الفطرة، فأبواهُ يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)رواه مسلم

٢ – **وأما دلالة العقل على وجود الله– تعالى –** :فلأن هذه المخلوقات: سابقها ولاحقها، لابد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ ولا يمكن أن توجد صدفة ، ولا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلقُ نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقًا؟!، ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنعُ منعًا باتًّا أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره؟! وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛

تعيَّن أن يكون لها موجد هو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي، والبرهان القطعي، حيث قال: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) يعني: أنهم لم يُخْلَقُوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقُوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السموات وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) ﴿سورة الطور: ٣٥-٣٧﴾ .

وكان جبير يومئذ مشركًا قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي) رواه البخاري

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك: فإنه لو حدَّثك شخص عن قصرٍ مشيَّد، أحاطتْ به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالفرش والأسِرَّة، وزُيِّن بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوْجد نفسه، أو وُجِد هكذا صدفة بدون مُوجد؛ لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثهُ سفهًا من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع: بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجَدَ نفسه، أو وُجد صدفة بدون موجد؟!

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله - تعالى-: فلأن الكتب السماوية كُلَّها تنطقُ بذلك، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق؛ دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها؛ دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤- وأما أدلة الحس على وجود الله؛ فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدلُ دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله سبحانه: (وَنُوحًا إِذ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) ﴿سورة الأنبياء: ٧٦﴾ ، وقال تعالى: (إِذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) ﴿سورة الأنفال: ٩﴾ .

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: إنَّ أعرابيًّا دخل يوم الجمعة - والنبي صلى الله عليه وسلم يخطبُ - فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاعَ العيال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه ودعا؛ فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته. - وفي الجمعة الثانية، قام ذلك الأعرابي، أو غيره فقال: يا رسول الله - تهدم البناء،

وغرق المال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه، وقال: (اللهم حوَالَيْنا ولا عَلَيْنَا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت) .

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا؛ لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى، وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أنَّ آيات الأنبياء التي تسمَّى المعجزات ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى؛ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم.

مثال ذلك آية موسى صلى الله عليه وسلم حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه؛ فانفلَق اثنى عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) ﴿سورة الشعراء: ٦٣﴾ .

ومثال ثانٍ: آية عيسى صلى الله عليه وسلم حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: (وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ) ﴿سورة آل عمران: ٤٩﴾ ، وقال: (وَإِذ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي) ﴿سورة المائدة: ١١٠﴾ .

ومثال ثالث: لمحمد صلى الله عليه وسلم حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر؛ فانفلق فرقتين، فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ) ﴿سورة القمر: ١-٢﴾ .فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى؛ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم، تدلُ دلالة قطعية على وجوده تعالى.

معنى الشرك في الربوبية ، وأهم مظاهره :

الشرك في الربوبية : هو صرف خصائص الربوبية كلها، أو بعضها لغير الله عز وجل، أو تعطيله عز وجل عنها بالكلية.

مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية : بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف فيما يلي:

١-انكار وجود الرب جل وعلا ، ومن أشهر من عرف تظاهره بإنكار الرب تعالى قديما فرعون الذي قال: [أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى] وقال : [يَأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي] ، وقد كان مستقينا في الباطن بربوبية الله تعالى كما قال له موسى [قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا]، وأخبر الله تعالى عن حقيقة إلحاده وقومه ، فقال سبحانه : [وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ]

ومن أظهر من عرف تظاهره بإنكار وجود الرب حديثا الشيوعيون الذين قالوا : (لا إله والحياة مادة) ، وهو مكابرة

للفطرة، وإلا فهم في الباطن مقرون بوجود الرب تعالى ؛ ولذا تجدهم عند الشدائد والكروب يرجعون إلى ربهم، كما استفاضت الشواهد بهذا عن حال كثير من الملاحدة عند الشدائد، بل إن أعتى الملاحدة فرعون لما أدركه الغرق قال : (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)

٢- الشرك في الربوبية، ومعناه إثبات فاعل مستقل غير الله في الملك أو الخلق أو الرزق أو التدبير ، فمن نسب إلى غير الله تعالى شيئا من ذلك فقد أشرك الله في ربوبيته ، قال العلامة حافظ حكمي : «ضد توحيد الربوبية هو اعتقاد متصرف مع الله في أي شيء من تدبير الكون؛ من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر، أو غير ذلك من معاني الربوبية، أو اعتقاد منازع له في شيء من مقتضيات أسمائه وصفاته كعلم الغيب والعظمة والكبرياء ونحو ذلك "

وهناك طوائف في القديم والحديث عرف عنهم الشرك في الربوبية، لكن لم توجد طائفة على مدار التاريخ قالت بإثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأولين والآخرين في الملل والنحل والآراء والديانات، فلم ينقلوا عن أحد إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات)

ومن أشهر الطوائف التي عرف عنها شرك في توحيد الربوبية ما يلي:

١ - المجوس: حيث أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد يسمون أحدهما: النور، والآخر : الظلمة، وبالفارسية : يزدان وأهرمن)

٢-النصارى في قولهم بالتثليث قال ابن أبي العز: (وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الآب والابن وروح القدس إله واحد، وقولهم في التثليث متناقض في نفسه، وقولهم في الحلول أفسد منه، ولهذا كانوا مضطربين في فهمه، وفي التعبير عنه، لا يكاد واحد منهم يعبر عنه بمعنى معقول، ولا يكاد اثنان يتفقان على معنى واحد، فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم! والأقانيم يفسرونها تارة بالخواص، وتارة بالصفات، وتارة بالأشخاص، وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام، وفي الجملة فهم لا يقولون بإثبات خالفين متماثلين) .

٢- الفلاسفة الدهرية في قولهم بحركة الأفلاك وأنها تسعة، وأن التاسع -وهو الأطلس - يحرك الأفلاك كلها، فجعلوه مبدأ الحوادث، وزعموا أن الله يحدث فيه ما يقدره في الأرض ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «العقل الأول عند هؤلاء هو المبدع لكل ما سوى الله، والعقل الفعال عندهم هو المبدع لكل ما تحت فلك القمر، وأهل الملل يعلمون بالاضطرار

من دين الرسل أنه ليس عندهم أحد غير الله يخلق جميع المبدعات).

٤-كثير من مشركي العرب وغيرهم الذين قد يعتقدون في آلهتهم شيئًا من نفع أو ضر بدون أن يخلق الله ذلك .

٥ - غلاة القدرية: لقولهم : إن العبد يخلق فعله، فأثبتوا خالقين مع الله .

٦ - غلاة الصوفية في زعمهم بأن الأولياء ينفعون ويضرون ويتصرفون في الكون، أو اعتقادهم أنهم يملكون الدنيا والآخرة، كقول البوصيري في مدح الرسول ﷺ : فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم وكذلك في اعتقادهم بالحلول ووحدة الوجود ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (القائلون بوحدة الوجود حقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية الذين يقولون: ما ثم موجود إلا هذا العالم المشهود).

٧- الروافض الاثنا عشرية الملقبون في عصرنا بالشيعة ومن مقالاتهم : أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها كيف شاء، وجاء في أهم كتاب معتمد لديهم باب بعنوان: «باب أن الأرض كلها للإمام) ، ومما جاء فيه: «أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله ...)، فأشركوا في الربوبية، والله تعالى يقول: [فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ والْأُولَى]

٢- الإلحاد ، والرد على شبه الملاحدة في إنكار وجود الله

تعريف الإلحاد : الالحاد، في اللغة، الميل عن القصد، والعدول عن الشيء

وأما في الاصطلاح : كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون -سبحانه وتعالى، سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية، أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين والماركسيين، بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كل مَنْ لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكون وُجِدَ بذاته في الإزل نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق الصدفة ودون تحديد وقت لها، واعتقاد أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وُجِدَ وعلى امتداد التاريخ من أحوال في كل شئونه إنما وُجِدَ عن طريق التطور، لا أن هناك قوة إلهية تدبره وتتصرف فيه.

والإلحاد لم يكن في التاريخ الإنساني ظاهرة بارزة، ذات تجمع بشري، أو مذهباً مدعماً بمنظمات ودول، وإنما كان ظاهرة فردية شاذة، وربما اجتمع عليه فئات قليلة، وانتشر الإلحاد منذ القرن التاسع عشر، حيث صيغت العلوم الإنسانية، وجذور العلوم البحتة، على أسس الإلحاد بالله، والتفسيرات المادية ، وانتشر انتشاراً لا سابق له في الجاهليات القديمة.

إلا أنه في أواخر القرن العشرين، وأوائل الحادي والعشرين، وجد شيء من التدين في الأوساط الغربية الملحدة، وشهد العالم سقوط الشيوعية، ثم بدأنا نشاهد عودة ما يسمى باليمين المسيحي المتطرف، كل ذلك بعد أن ذاقوا ويلات البعد عن الدين، والعيش في ظلمة الإلحاد.

ومع وجود هذه الظواهر الجزئية فقد ظل الإلحاد متغلغلاً في تلك الأوساط، مرتدياً عباءة العلم، والحضارة.

أقسام الإلحاد : ينقسم الإلحاد إلى قسمين هما: الإلحاد القديم، والإلحاد الحديث.

القسم الأول : الإلحاد في العصر القديم : لم يذهب إلى إنكار وجود الله في العصر القديم إلا شرذمة قليلة من الناس ، من أشهرهم فرعون حينما قال كما قال – تعالى – عنه: [فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى] ﴿النازعات:٢٤﴾، وقال – سبحانه – عنه أيضاً: [مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي] ﴿القصص: ٣٨﴾.

وكذلك ذهب إلى إنكار وجود الله طوائف قليلة من الناس ،وهذه الطوائف هي :

١ – الدهرية: قال ابن القيم: (وهؤلاء قوم عطَّلوا المصنوعات عن صانعها، وقالوا ما حكاه الله عنهم: [وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ] ﴿الجاثية: ٢٤﴾)﴿٩﴾. فجعلوا الدهر هو المتصرف فيهم بالإحياء والإماتة، وأنكروا وجود الله سبحانه وتعالى)

٢ – الطبائعيون: قال ابن الجوزي: (لَـمَّا رأى إبليس قلَّة موافقيه على جحد الصانع؛ لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع، حسَّن لأقوام أن هذه المخلوقات من فِعْل الطبيعة) .

٣ – الفلاسفة: ذهب بعض الفلاسفة إلى أنه لا صانع للعالَم، وأطلق عليهم شيخ الإسلام دهرية الفلاسفة. قال ابن القيم بعد حديثه عن فِرَق الفلاسفة: (وبالجملة فملاحدتهم: هم أهل التعطيل المحض؛ فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله).

الرد عليهم : ما سبق ذكره من الأدلة الدالة على وجود الله ، نذكر منها دلالة العقل : اعلم رحمك الله أنك إذا نظرتَ إلى العالم العلوي والسفلي وما أودع فيه من المخلوقات المتنوعة الكثيرة جداً، والحوادث المتجددة في كل وقت، وتأملتَه تأملاً صحيحاً، عرفت أن الأمورَ ـ الممكنُ تقسيمُها ـ في العقل ثلاثةٌ:

أحدُها: أن توجدَ هذه المخلوقات والحوادثُ بنفسها من غير محدِث ولا خالِق، فهذا محالٌ ممتنعٌ؛ يجزم العقل ضرورة ببطلانه، ويعلم يقيناً أن من ظن ذلك فهو إلى الجنون أقرب منه إلى العقل، لأن كل من له عقل يعرف أنه لا يمكن أن

يوجَد شيء من غير موجِد، ولا محدِث.

الثاني: أن تكون هذه المخلوقات محدِثةً وخالقةً نفسَها، فهذا أيضاً محالٌ ممتنعٌ؛ يجزم العقل ضرورة ببطلانه وامتناعه، فكل من له أدنى عقل يجزم أن الشيء لا يحدِث نفسه، كما أنه لا يحدُث بلا محدِث، وإذا بطل هذان القسمان عقلاً وفطرة تعيَّن القسم:الثالث: وهو أن هذه المخلوقات والحوادث لها خالِقٌ خلقها، ومحدِثٌ أحدثها، وهو الله الرب العظيم، الخالق لكل شيء، المتصرف في كل شيء، المدبر للأمور كلها.

ولهذا نبَّه الله على هذا التقسيم العقلي الواضح لكل عاقل فقال: [[أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لاَ يُوقِنُونَ]] ﴿الطور: ٣٥، ٣٦﴾

فالمخلوق لا بد له من خالِق، والأثر لا بد له من مؤثِّر، والمحدَث لا بد له من محدِث، والموجَد لا بد له من موجِد، والمصنوع لا بد له من صانع، والمفعول لا بد له من فاعِل.

هذه قضايا بديهية عقلية، يشترك في العلم بها جميعُ العقلاء، وهي من أعظم القضايا العقلية، فمن ارتاب فيها أو شكَّ في دلالتها فقد برهن على اختلالِ عقله وضلاله.

القسم الثاني الإلحاد في العصر الحديث:

أبرز صور وتيارات الإلحاد المعاصر :

١-العلمانية: وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين

٢-الوجودية : مذهب يقوم على إبراز قيمة الوجود الفردي، وخصائصه وجعله سابقاً على الماهية، فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية، وأن الإنسان مطلق الحرية في الاختيار، يصنع نفسه بنفسه، ويملأ الوجود على النحو الذي يلائمه.

٣-الوضعية :وهي فلسفة تنكر أية معرفة تتجاوز التجربة الحسية.

٤-الشيوعية : مذهب اقتصادي اجتماعي، وضع له أساس اعتقادي فكري، قائم على إنكار وجود رب خالق لهذا الكون، وأن المادة هي كل الوجود.

٥- الداروينية :نسبة إلى تشارلز داروين "١٨٠٨ - ١٨٨٢م" الباحث الإنجليزي، مؤلف كتاب أصل الأنواع. وهو مذهب التحول أو التبدل، ويتلخص في أن الكائنات الحية في تطور دائم على أساس من الانتخاب الطبيعي، وبقاء

الأصلح، فتنشأ الأنواع بعضها من بعض، ولاسيما النوع الإنساني الذي انحدر عن أنواع حيوانية.

وهو ينفي يد الله من عملية الخلق كله، ويقرر أن الحياة وجدت على الأرض بالصدفة، في ظروف معينة. ومن مقولات داروين:"إن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها على الخلق"، كما قال: "إن الطبيعة تخبط خبط عشواء"

أبرز شبهات الملاحدة والرد عليها : الفكرة الإلحادية تستند غالبًا إلى أدلة فلسفية وإلى أدلة علمية

ومن أبرز الأدلة العلمية :

١ – نظرية داروين، وهي التي وصفها في كتابه أصل الأنواع، الكتاب الذي أصبح اللَّبِنة الأساسية لنظرية التطور الإلحادية.

وقد أقام داروين مدرسته على أساس أن الأحياء لم يُخلق كلُّ واحد منها خلقًا مستقلًّا؛ بل كان لها أصل واحد هو الخلية البسيطة، ثم أخذت تتطور وترتقي من طورٍ إلى طورٍ حتى نشأ الإنسان وبقية الكائنات، والطبيعة في ذلك كانت تختار الأصلح للبقاء، وهذا ما عبَّر عنه بمصطلح: الانتخاب الطبيعي أو: بقاء الأصلح.

وتجمع مدرسة داروين في ثناياها كبار ملاحدة العالم، الذين يرون أن الإنسان لا خالق له، وأنه وليد ملايين السنوات من التطور الطبيعي والنشوء والارتقاء بين الأنواع المختلفة.

وقد اهتم الملاحدة كثيرًا بهذه النظرية، لأنها في نظرهم النظرية الوحيدة التي يمكن بها تفسير الكون والحياة دون الحاجة إلى خالق، والواقع أنها نظرية هشَّةٌ ضعيفةٌ غير متماسكة، ولذا فقد اضمحلت وضعفت كثيرًا في عصرنا الحاضر.

ويمكن تلخيص أهم أوجه بطلان هذه النظرية –من خلال النقاط الآتية:

أولًا: أنها نظرية قاصرة؛ فهي لم تفسر جميع ظواهر الحياة في هذا الكون، إذ هي –مثلا– لا تقدم تفسيرًا لأصل نشأة الحشرات، مع أنها تمثل (٨٠٪) من مجموع الحيوانات؛ فهل تطورت تلك الحشرات أم بقيت على ما هي عليه، ولِمَ لم يجرِ عليها قانون التطور؟

كما أنها لم تقدم تفسيرًا للطيور؛ فهل ما يطير من الحيوانات قد تطور؟ وماذا كان أصل هذا التطور؟

إلى أشياء أخرى ترجع إلى الأحياء قد أهملتها؛ فما قيمة نظرية لا تقوم بتفسير (٩٠٪) من الظواهر التي من المفترض أن تتناولها؟!

ثانيًا: عجز أرباب هذه النظرية وأنصارها عن بيان كيفية انتقال الحياة من جماد إلى كائنات حية؛ فإذا سألتهم: كيف وجدت الحياة فجأة من خلية جامدة إلى أنفس حية لها إحساس وعقل؟ يجيبك الملحد وتجيبك النظرية : بأن هذا التطور إنما حصل فجأةً! صدفةً!

ولا يخفى أن الصدفة ليست جوابًا علميًّا، بل هي جواب يصادم العلم كما سيتبين عن قريب إن شاء الله.

ثالثًا: أنه عند التأمل فيما اعتمدت عليه النظرية نجد أنها تنطلق من وجود تشابه بين الأحياء، ولذا قرر داروين أن أصل الإنسان قردٌ بسبب هذا الأمر.

ومن طريف ما يُذكر هنا ما أنشده الشاعر الملحد الزهاوي، حيث يفخر بأنه من نسل قرد هالك فيقول:

ما نحن إلا أقرُدٌ من نسل قردٍ هالكِ فخرٌ لنا ارتقاؤنا في سُلَّم المدارك!

ومما تزعمه هذه النظرية: أن وجود الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان يدل على وجود تشابه بينهما، وهنا يُسأل أرباب هذه النظرية: لماذا لا يكون الإنسان متطورًا من فأر وليس من قرد؛ لأنهما يشتركان في كثير من الأمراض، كالسرطان مثلا؟!

ولا جواب عند هؤلاء.

رابعًا : لو كانت النظرية حقا لشاهدنا كثيراً من الحيوانات والإنسان تأتي إلى الوجود عن طريق التطور، لا عن طريق التناسل فقط. وإذا كان التطور يحتاج إلى زمن طويل فذلك لا يمنع من مشاهدة قرود تتحول إلى آدميين في صورة دفعات متوالية.

خامسًا : أن كثيرًا من علماء الطبيعة أنكروا هذه النظرية ، منهم فرخو قال: " إنّه يتبين لنا من الواقع أن بين الإنسان والقرد فرقاً بعيداً، فلا يمكننا أن نحكم بأنّ الإنسان سلالة قرد أو غيره من البهائم، ولا يحسن أن نتفوّه بذلك ".

ومنهم ميفرت قال بعد أن نظر في حقائق كثيرة من الأحياء: " إنّ مذهب (داروين) لا يمكن تأييده، وإنّه من آراء الصبيان "..

ومنهم هكسلي وهو من صديق (لداروين) قال: إنَّه بموجب ما لنا من البينات لم يثبت قط أن نوعاً من النبات أو الحيوان نشأ بالانتخاب الطبيعي أو الانتخاب الصناعي.

سادسًا : أن الله عز وجل أخبرنا أنّه خلق الإنسان خلقاً مستقلاً مكتملاً، وقد أخبر ملائكته بشأن خلقه قبل أن يوجده (وإذ قال ربك للملائِكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً) ﴿البقرة: ٣٠﴾ .

٢- نظرية الانفجار العظيم: وخلاصة هذه النظرية: أن أصل الخلق كان كُريَّة بسيطة ذات خلية واحدة، وهي صغيرة كرأس الدّبوس، كانت تسبح في اللازمان واللامكان، ثم انفجرت فجأة قبل (١٥) مليار سنة! فنتج عن هذا الانفجار تكون هذا الكون بالتدريج. فأصل هذا الكون كله إذن: رأس الدبوس هذا!

الرد على هذه النظرية : هو سؤالهم السؤال الذي سيبقى سوطًا يضرب ظهور هؤلاء الملاحدة: من أين جاءت نقطة الدبوس هذه؟! هذا ما لم يجيبوا عنه، ولن يجيبوا .ثم: لماذا كانت هذه الكرية ساكنة ثم قررت فجأة أن تنفجر؟! وما ميزة هذه اللحظة التي انفجرت فيها –بالذات– عن غيرها؟ ثم: كيف يُنتِج انفجارٌ نظامًا بديعًا؟ وهل الانفجار يناسب النظام؟ ثم: كيف أنتجت نقطةٌ من مادةٍ جامدةٍ حياةً وعقلًا ومشاعر؟..

ويجيب الملحد بأنه حصلت تفاعلات أنتجت خلايا اجتمعت فتكونت بعد الانفجار بهذا النظام البديع في كل شيء. وإذا سئلوا: كيف حصل هذا الاجتماع للخلايا؟ وكيف وجدت الحياة من الجماد؟ أجابك الملحد ببلادة: حدث هذا تلقائيًّا، وصدفةً! إن الصدفة عند الملاحدة: ربُّ العالمين المكوِّنُ لهذا الكون!.. لأن كل الظواهر عندهم تُعلق بها؛ فبالصدفة وُجدت السماء، ووُجد الغلاف الجوي، وُوجد الضغط الجوي، ووُجدت الغازات، ووُجدت السحب، ووُجدت أرضٌ قابلةٌ للحياة، ووُجدت الأنهار، ووُجدت البحار، ووُجدت الأسماك، ووُجد الإنسان، ووُجدت أعضاء مناسبة لاحتياجاته؛ فوُجد سمع، ووُجد بصر، ووُجد قلب يدقُّ، ووُجدت كريات دم حمراء وكريات دم بيضاء بأعداد متناسبة، وفوق هذا وُجد العقل والأحاسيس؛ كل هذا حصل –عند الملاحدة– صدفة!

لا يشك عاقل أن قانون الصدفة باطلٌ، ففي بدائه العقول: لا يمكن أن توجِد الصدفة حقائق منتظمة. مثالٌ يوضح

المقام: لو قدَّرنا أننا وضعنا مجموعة قرود في غرفة، ووضعنا أمامهم آلات كاتبة وأوراقاً ليعبثوا بها، ثم عدنا بعد برهة من الزمن؛ فهل من الممكن أن نجد أمام كل آلة من هذه الآلات قصيدة غزلية رائقة تنافس قصائد كبار الشعراء؟!

مثال ثانٍ: لو وضعنا الآلة الكاتبة أمام طفل يعبث بها، ثم نظرنا في الورقة بعد حين؛ فهل يُعقل أن نجد أنه كتب معادلة رياضية من الدرجة الثانية! وقام بحلِّها أيضا؟!

الجواب في كل ما سبق ـ عند كل عاقل ـ: (لا)، وأما عند الملاحدة فـ(نعم)!!..

والعقلاء جميعًا متفقون على أن الصدفة لا تُنتِج نظامًا، ولا يمكن أن تُكرِّر نظاماً واحدًا، ولا يمكن أن تبرز فيها –دائمًا– آثار القصد.

النوع الثاني من الأدلة : استدلالهم بالأدلة الفلسفية العقلية مثل :

١-عدم رؤية الله ، يقول الملحد في ذلك : (بما أننا لا نرى الله ، إذن فهو غير موجود)

الرد على هذه الشبهة : نقول : هذا مكابرة للعقل والحسس ، لأننا لو اعتمدنا قاعدته في المجال العلمي الذي يتبجح به ، فإنه ستسقط جميع أسس العلم التجريبي من أصلها ، مع أن الملحد يزعم أنه يعتمد على النظريات العلمية ، لأنه ليس أحد منهم رأى شيئا منها مثل : الجاذبية ، ولا أحد منهم رأي الإلكترون ، ولا رأى الأثير ، ولا أحد منهم رأى الطبيعة الموجية للضوء ، ولا رأى الطبيعة الذرية وغيرها من الحقائق العلمية التي يستدلون بها .

فعدم رؤيتنا الله تبارك وتعالى ، لا يعني عدم وجوده ، ويكفي العقول أن تستدل على وجوده بآثار صنعه ، وما فيه من نظام وإتقان وإحكام .

سأل بعض الملاحدة الإمام أبا حنيفة (رحمه الله) عن وجود الباري تعالى، فقال لهم دعوني؛ فإني مفكرٌ في أمرٍ قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينةً في البحر فيها أنواعٌ من المتاجر، وليس بها أحدٌ يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحدٌ، فقالوا: هذا شيءٌ لا يقوله عاقلٌ، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانعٌ؟ فبُهِت القوم ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

٢- أنّ حصول الشر والقتل والقلاقل في العالم دليل على انتفاء وجود الرب القدير الرحيم ، لأنه في زعمهم لو كان موجودا لمنع حصول الشر.

الرد على هذه الشبهة : أن هذا راجع إلى جهلهم أو تجاهلهم لأصل إثبات الحكمة في أفعال الله تبارك وتعالى وتقديره ، ووقوع المصائب والمحن في هذه الحياة راجع إلى قاعدة الابتلاء "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً" (الملك: ٢) ، فربنا جل جلاله يبتلي بالمحن ويصلح ، ويهذب ويكفر ويثيب ، لكن القوم قد عموا عن هذا ، وعموا أيضا عن أنه لا يوجد شر محض في تقديرات الله تبارك وتعالى ، أما في فعله جل وعلا وفي حكمه القدري فلا يوجد شر أصلا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (والشر ليس إليك) رواه مسلم

وأما الشر في تقديراته ، فالشر الواقع جزئي ، والله تبارك وتعالى إنما قدره ولو كان مؤلما لما فيه من خير ومصلحة إما للعبد وإما لغيره ، علمه أو جهله.

تعريف توحيد الأسماء والصفات

هو إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى به نفسه، ووصف به نفسه؛ في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، نفيا وإثباتا؛ فيثبت له ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل

أنواع الأدلة على توحيد الأسماء والصفات :

الكتاب ، والسنة ، والعقل ، والفطرة ، والإجماع:

فمن أدلة الكتاب :

١ – قوله تعالى: [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] ﴿الأعراف: ١٨٠﴾ .

٢–وقال تعالى: [اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] ﴿طه: ٨﴾ ، [هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] ﴿الحشر: ٢٢– ٢٤﴾ .

ومن الأدلة من السنة :

١ – ومن الأدلة على ثبوت أسماء الله من سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم –: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن لله تسعةً وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة» . وليست أسماءُ الله منحصرة في هذا العدد، بدليل ما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – قال: «أسألُكَ بِكُلِّ اسمٍ هو لَكَ، سمَّيتَ به نفسك، أو أنزلتَهُ في كتابكَ، أو علَّمتهُ أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ... » الحديث. وكل اسم من أسماء الله فإنه يتضمن صفة من صفاته؛ فالعليمُ يدل على العلم، والحكيم يدل على الحكمة، والسَّميعُ البصير يدلان على السمع والبصر، وهكذا كلُّ اسم يدل على صفة من صفات الله تعالى

٢–وعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – بعثَ رجلًا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختمُ بـ ([قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ]) فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: سلوه: لأي شيء يفعلُ ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفةُ الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبيُّ – صلى الله عليه وسلم –:» «أخبروه أن الله تعالى يحبه» . يعني أنها اشتملت على صفاتِ الرَّحمن.

وأما الدليل العقلي على ثبوت الأسماء والصفات التي دلَّ عليها الشرع فهو أن يُقال: أن كل موجود في الخارج فلا بد أن يكون له صفة: إما صفة كمال، وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة. وبذلك استدل الله ــ تعالى – على بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بصفات النقص والعجز بكونها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تنفع، ولا تضر، ولا تخلق، ولا تنصر فإذا بطل الثاني تعين الأول، وهو ثبوت صفات الكمال لله.

ثم إنه قد ثبت بالحسِّ والمشاهدة أن للمخلوق صفات كمال، والله سبحانه هو الذي أعطاه إياها فمعطي الكمال أولى به.

وأما دلالة الفطرة على ثبوت صفات الكمال لله: فلأن النفوس السليمة مجبولة ومفطورة على محبة الله، وتعظيمه، وعبادته، وهل تحب وتعظم وتعبد إلا من عرفت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته؟!

وأما دلالة الإجماع : فنقل الإجماع غير واحد من العلماء ،وإليك بعضا منهم:

قال الإمام أبوالحسن الأشعري–رحمه الله–: "وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه

من غير اعتراض فيه، ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك التكييف له لازم.

وقال ابن عبد البر : (أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك وَلَا يَحُدُّونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً)

قواعد أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته :

أولًا : قواعد أهل السنة والجماعة في أسماء الله

القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلها حسنى:أي: بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: [وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى] ، وذلك لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا.

القاعدة الثانية: أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف : أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني، وهي بالاعتبار الأول مترادفة لدلالتها على مسمى واحد، وهو الله عز وجل، وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص.

فالحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى، لكن معنى الحي غير معنى العليم، ومعنى العليم غير معنى القدير، وهكذا.

القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ تضمنت ثلاثة أمور:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى،وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى [وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ] .

وإن دلت على وصف غير متعدٍّ تضمنت أمرين:

أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل. الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: "الحي" يتضمن إثبات الحي اسما لله عز وجل وإثبات الحياة صفة له.

القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام.

مثال ذلك: "الخالق" يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام،ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: [لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَّ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً] .

القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها:وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص، لقوله تعالى: [قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهَّ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهَّ مَا لا تَعْلَمُونَ] ، ولأن تسميته تعالى بما لم يُسَمِّ به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك، والاقتصار على ما جاء به النص.

القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور☹ أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك)رواه أحمد وابن حبان ، وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحدًا حصره ولا الإحاطة به.

القاعدة السابعة: الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، كما فعل أهل التشبيه

الثالث: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: (الأب) ، وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة) ، وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية، فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة، ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز، واشتقاق اللات من الإله

على أحد القولين، فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به

والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله تعالى هَدَّدَ الملحدين بقوله: [وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] ،ومنه ما يكون شركا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية.

ثانيًا :قواعد في صفات الله تعالى :

القاعدة الأولى: صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك. وقد دل على هذا: السمع والعقل والفطرة.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: [لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] والمثل الأعلى: هو الوصف الأعلى.

وأما العقل: فوجهه أن كل موجود حقيقة فلا بد أن تكون له صفة إما صفة كمال وإما صفة نقص، والثاني باطل بالنسبة إلى الرب الكامل المستحق للعبادة، ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز، فقال تعالى: [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ] ، وقال تعالى: [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ]

وأما الفطرة: فلأن النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه، وهل تُحِب وتُعَظِّم وتَعْبُد إلا من علمت أنه متصف بصفات الكمال اللائقة بربوبيته وألوهيته

وإذا كانت الصفة نقصا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله تعالى: [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ] ، وقوله عن موسى [فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنْسَى]

وإذا كانت الصفة كمالاً في حال، ونقصا في حال لم تكن جائزة في حق الله، ولا ممتنعة على سبيل الإطلاق، فلا تُثْبَت له إثباتا مطلقا، ولا تُنْفَى عنه نفيا مطلقا، بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً، وتمتنع في الحال التي تكون نقصا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع، ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل على أن فاعلها قادر على مقابلة عدوه بمثل فعله، أو أشد، وتكون نقصا في غير هذه الحال، ولهذا

لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالى: [وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ] وقوله: [إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً] ، وقوله: [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ] وقوله: [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ] وقوله: [قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ]

القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء: وذلك: لأن كل اسم متضمن لصفة كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى [وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] .

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تحصى، كما قال تعالى: [وَجَاءَ رَبُّكَ] ، وقال: [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ] ، وقال: [فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ] ، وقال: [وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاّ بِإِذْنِهِ] ، وقال: [إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ] ، وقال: [يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا". فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به.

القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية. وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به ، بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيداً] فالإيمان بالله يتضمن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله صلى الله عليه وسلم يتضمن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد صلى الله عليه وسلم رسوله يتضمن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله، وهو الله عز وجل.

وأما العقل: فلأن الله تعالى أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثا من غيره، فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد

والصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال

مثال ذلك: قوله تعالى: [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ] ، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: [وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً] نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال ، فكلما كثرت وتنوعت دلالاتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر، ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية كما هو معلوم.

أما الصفات السلبية فلم تذكر غالبا إلا في الأحوال التالية:الأولى: بيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] ، [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ] .

الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون، كما في قوله: [أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً] .

الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعيّن، كما في قوله: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ] ، وقوله: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ] .

القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: ذاتية. وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة. ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ]

القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين وهما : التمثيل ، والتكييف

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] ، وقوله: [أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ] ، وقوله: [هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً] ، وقوله: [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ] .

وأما العقل فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات، لأن صفة كل موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات، فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرّة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى

الثاني: أن يقال: كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يُكَمِّله؟، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق، فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصا.

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية، فنشاهد أن للإنسان يدًا ليست كيد الفيل، وله قوة ليست كقوة الجمل، مع الاتفاق في الاسم. فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة،وبينهما تباين في الكيفية والوصف، فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة. وأما التكييف: فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: [وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً] ، وقوله: [وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً] ، ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفوًا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه. وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها.

القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، لا يتجاوز القرآن والحديث)

تقسيم صفات الله تعالى تنقسم إلى صفات ذاتية وصفات فعلية ، والتمييز بينهما:

القسم الأول : الصفات الذاتية: وهي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها . وهي نوعان: معنوية وخبرية:

فالمعنوية، مثل: الحياة، والعلم، القدرة، والحكمة ... وما أشبه ذلك، وهذا على سبيل التمثيل لا الحصر.

والخبرية، مثل: اليدين، والوجه، والعينين ... وما أشبه ذلك مما سماه، نظيره أبعاض وأجزاء لنا.

فالله تعالى لم يزل له يدان ووجه وعينان لم يحدث له شيء من ذلك بعد أن لم يكن، ولن ينفك عن شيء منه، كما أن الله لم يزل حياً ولا يزال حياً، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً، ولم يزل قادراً ولا يزال قادراً ... وهكذا واصطلح العلماء رحمهم الله على أن يسموها الصفات الذاتية، قالوا: لأنها ملازمة للذات، لا تنفك عنها.

القسم الثاني :الصفات الفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها ، وليست لازمة لذاته : مثل الاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة فهذه الصفات صفات فعلية تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، وهي صفات حادثة في نوعها وآحادها، فالاستواء على العرش لم يكن إلا بعد خلق العرش، والنزول إلى السماء الدنيا لم يكن إلا بعد خلق السماء، والمجيء يوم القيامة لم يكن قبل يوم القيامة .

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: [إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ]

التمييز بين الصفات المنفية عن الله والصفات المثبتة له :

الصفات الثبوتية: هي ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.

والصفات الثبوتية كثيرة جداً منها: العلم – والحياة – والعزة – والقدرة – والحكمة – والكبرياء – والقوة – والاستواء – والنزول – والمجيء، وغيرها.

والصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية

والصفات السلبية: ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب.

فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالاً، كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصا، كما في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمّة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

وقول الآخر: لكن قومي وإن كانوا ذوي حسب ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

مثال ذلك: قوله تعالى: [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ] ، فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

مثال آخر قوله تعالى: [وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً] نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

استعراض بعض أسماء الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة ، ومعنى إحصائها

ورد في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة» .

وأسماء الله تعالى في هذا الحديث ليست محصورة بهذا العدد، بل لله أسماء استأثر بعلمها غير ما وردت به النصوص، فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان وغيرهما عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «. . . اللهم أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك. .» إلخ ".

وأما إحصاء أسماء الله الحسنى الوارد في الحديث : فبينه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بقوله : (هذه التسعة والتسعين، الذي يترتب عليه دخول الجنة، ليس معنى ذلك أن تكتب في رقاع، ثم تكرر حتى تحفظ فقط، ولكن معنى ذلك: **أولا: الإحاطة بها لفظا.** **ثانيا: فهمها معنى** **ثالثا: التعبد لله بمقتضاها ، ولذلك وجهان :**

الوجه الأول: أن تدعو الله بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: من الآية ١٨٠ ﴾ .بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك، فتختار الاسم المناسب لمطلوبك، فعند سؤال المغفرة تقول: يا غفور! وليس من المناسب أن تقول: يا شديد العقاب! اغفر لي، بل هذا يشبه الاستهزاء، بل تقول: أجرني من عقابك.

الوجه الثاني: أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء؛ فمقتضى الرحيم الرحمة، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالبا لرحمة الله، ومقتضى الغفور المغفرة، إذن افعل ما يكون سببا في مغفرة ذنوبك.

ذكر بعض أسماء الله الحسنى وبيان معناها :أسماء الله جل وعلا كثيرة، وهي أسماء وأوصاف، فهي أسماء باعتبار دلالتها على ذاته سبحانه، وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من صفات كماله.

وقد اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على كثير من أسماء الله الحسنى ، وأجمع الآيات القرآنية لأسماء الله الحسنى قوله تعالى في آخر سورة الحشر : قال تعالى : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وفيما يلي بيان معاني هذه الأسماء

١ -**الله**: هو المألوه المعبود الذي لا يستحق العبادة سواه ، ولهذا قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما "الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين".

وقد اختار بعض السلف أنه الاسم الأعظم، أما وجه ذلك فقالوا : (لأنه اسم لم يطلق على غيره ، ولأنه الأصل في الأسماء في الأسماء الحسنى ، ومن ثم أضيفت إليه) قال جابر بن زيد في قوله: (بسم الله قال: اسم الله الأعظم هو الله. ألا ترى أنه في جميع القرآن يبدأ به قبل كل اسم)

٢ - ٣ – الرحمن، الرحيم: وهما اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، قال ابن كثير في بيان معناهما : (اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم) . أما الفرق بينهما فيقول ابن القيم في ذلك : (دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال أن الرحمة صفته والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: [وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً] [إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ] ولم يجيء قط رحمن بهم فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة ورحيم هو الراحم برحمته

٤ -الحي: قال الله تعالى: ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ وقال سبحانه:﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ وقال جل وعلا : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ .

ومعنى الحي : الذي له الحياة الدائمة المستلزمة لجميع صفات الكمال ، لم يسبقها عدم ، ولا يلحقها زوال ، ولا نقص فيها بأي وجه من الوجوه.

قال الخَطَّابيُّ: (الحَيُّ مِن صفةِ اللهِ تعالى هو الذي لم يَزَل موجودًا، وبالحياةِ موصوفًا، لم تحدُثْ له الحياةُ بعد موتٍ، ولا يعتَرِضُه الموتُ بعد الحياةِ. وسائِرُ الأحياءِ يَعتَوِرُهم الموتُ أو العَدَمُ في أحدِ طَرَفِي الحياةِ أو فيهما معًا، وكُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلَّا وَجْهَه)

وقال السَّعْديُّ: (الحيُّ مَن له الحياةُ الكامِلةُ المُستَلزِمةُ لجميعِ صِفاتِ الذَّاتِ، كالسَّمعِ والبَصَرِ والعِلمِ والقُدرةِ، ونحوِ ذلك) .

٥-القيوم: قال تعالى : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ وقال تعالى :﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّوِ﴾

ومعنى القيوم: هو القائم بنفسه المقيم لغيره، فهو الغني عن غيره، ولا قيام لغيره إلا به.

قال الخطَّابيُّ: (القَيُّومُ: هو القائِمُ الدَّائِمُ بلا زوالٍ، ووَزْنُه فَيْعولٌ؛ مِنَ القيامِ، وهو نعتُ المبالغةِ في القيامِ على الشَّيءِ، ويقالُ: هو القَيِّمُ على كُلِّ شَيءٍ بالرِّعايةِ له، ويقالُ: قُمتُ بالشَّيءِ: إذا وَلِيتَه بالرِّعايةِ والمصلَحةِ) .

وقال السعدي : (والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري)

٦- المَلِك : قال تعالى : ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ﴾ قال ابن جرير رحمه الله تعالى: (المَلِك: الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا دونه).

وقال ابن كثير : (وهو الله الذي لا إله إلا هو الملك أي: المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا مبالغة ولا مدافعة)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: (إن من أسمائه: (الملك)، ومعناه الملك الحقيقي ثابت له - سبحانه - بكل وجه، وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال. إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة ولا قدرة، ولا إرادة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا فعل اختياري يقوم به، وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهي؛ ولا يثيب ولا يعاقب؛ ولا يعطي ولا يمنع؛ ولا يعز ولا يذل؛ ولا يهين ولا يكرم؛ ولا ينعم ولا ينتقم؛ ولا يخفض ولا يرفع، ولا يرسل الرسل إلى أقطار مملكته، ولا يتقدم إلى عبيده بأوامره ونواهيه؟ فأي ملك في الحقيقة لمن عدم ذلك؟

وبهذا يتبين أن المعطلين لأسمائه وصفاته: جعلوا مماليكه أكمل منه، ويأنف أحدهم أن يقال في أمره وملكه ما يقوله هو في ربه. فصفة ملكه الحق مستلزمة لوجود ما لا يتم التصرف إلا به، والكل منه - سبحانه - فلم يتوقف كمال ملكه على غيره، فإن كل ما سواه مسند إليه؛ متوقف في وجوده على مشيئته وخلقه)

٧-القدوس: قال تعالى : ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾

ومعنى القدوس : المنزه عن النقائص ، الموصوف بصفات الكمال.

قال ابن القيم : (القدوس: المنزه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير، هو الطاهر من كل عيب المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة ومنه بيت المقدس، لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب).

وقال السعدي : (المنزه عن صفات النقص كلها وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المتنزه عن جميع العيوب، والمتنزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال)

٨-السلام: قال تعالى : ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾

ومعنى السلام : السالم في ذاته وصفاته وأفعاله من كل نقص ، المتضمن لإثبات كماله المطلق من كل وجه ، والمنزه عن كل ما ينافي كماله .

قال الخطابي: (السلام في صفة الله سبحانه هو الذي سلم من كل عيب، وبريء من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين؛ وقيل: الذي سلم الخلق من ظلمه).

وقال ابن كثير : (السلام؛ أي: من جميع العيوب والنقائص؛ لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله).

٩-المؤمن : قال تعالى: ﴿ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾ ومعنى المؤمن : الذي أمَّن خلقه من أن يظلمهم، وقيل: المصدِّق الذي صدق وعده ، وقيل: المصدِّق لعباده بما يقيم له من شواهد صدقهم، كتصديقه لأنبيائه بالآيات، ولأوليائه بالكرامات ، وكل هذه المعاني حق ، ويدل عليها هذا الاسم ويتضمنها ، وبها قال أهل التفسير

قال ابن عباس : (المؤمن أي: أمن خلقه من أن يظلمهم) .

وقال الحليمي : (المؤمن: ومعناه المصدق، لأنه إذا وعد صدق وعده، ويحتمل المؤمن عبادة بما عرفهم من عدله ورحمته من أن يظلمهم ويجور عليهم)

وقال السعدي : (المؤمن: الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال، والجمال الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان، ويدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به)

١٠-المهيمن : قال الله تعالى: [الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ] . المهيمن: الرقيب على خلقه علما وتدبيرا ، الذي أحاط بكل شيء علما ، قال ابن كثير : (قال ابن عباس وغير واحد: أي الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى: هو رقيب عليهم، كقوله: [والله على كل شيء شهيد] ﴿ البروج: ٩ ﴾ ، وقوله [ثم الله شهيد على ما يفعلون])

وقال السعدي : (المهيمن : المطلع على خفايا الأمور، وخبايا الصدور الذي أحاط بكل شيء علما).

١١-العزيز: قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ، وقال ﴿فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعًا﴾ وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ قال ابن كثير : (عز كل شيء فقهره وغلبه، فلا يمانع ولا يغالب، لعظمته وسلطانه، وهو الواحد القهار)

وقال السعدي : (العزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته.

فمعاني العزة الثلاث كلها كاملة لله العظيم عزة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت، وعزة الامتناع فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه بل هو الضار النافع المعطي المانع، وعزة القهر والغلبة لكل الكائنات فهي كلها مقصورة لله خاضعة لعظمته منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك ولا يتصرف متصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به)

١٢-الجبار : قال تعالى : ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ﴾

قال السعدي : ([الْجَبَّارُ] الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير)

١٣-المتكبر : قال تعالى : ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾

قال السعدي : ([الْمُتَكَبِّرِ] الذي له الكبرياء والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب والظلم والجور)

١٤-الخالق : من أسماء الله الخالق ولا يجوز هذا الاسم بالألف واللام لغير الله عز وجل ، قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ ، وقال : ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ وقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾

قال الخطابي: (-الخالق- هو المبدع للخلق المخترع له على غير مثال سابق، قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾. فأما في نعوت الآدميين فمعنى الخلق: التقدير كقوله عز وجل:﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾)

وقال الأزهري: (ومن صفات الله: الخالق والخلاق، ولا تجوز هذه الصفة بالألف واللام لغير الله جل وعز.

والخلق في كلام العرب ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه).

١٥-البارئ: قال تعالى ﴿ هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ وقال: ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾

قال الشيخ حافظ الحكمي : (البارئ: أي المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود والبرء هو الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل كما قيل: ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع كل ما يريد فالخلق التقدير، والفري التنفيذ)

١٦-المصور : قال تعالى : ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾

قال الخطابي : (المصور: هُوَ الذي أنشأ خَلْقَهُ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَةٍ لِيَتعَارَفُوا بِهَا. فقال الله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسنَ صُوَرَكُمْ﴾. وقالَ تعالى: ﴿يا أيّها الإنسانُ ما غَرَّكَ بِرَبكَ الكَرِيْمِ، الذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، في أي صُوْرَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾)

وقال الشيخ حافظ الحكمي : (المصور" الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها، يقال: هذه صورة الأمر أو مثاله، فأولا يكون خلقا ثم برءا ثم تصويرا، وهذه الثلاثة الأسماء التي في سورة الحشر في خاتمتها [هو الله الخالق البارئ المصور] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي: الذي إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى: [في أي صورة ما شاء ركبك])

آراء المخالفين لأهل السنة في باب الأسماء والصفات والرد عليها :

الطائفة الأولى : الممثلة:وطريقتهم: أنهم اثبتوا لله الصفات على وجه يماثل صفات المخلوقين، فقالوا: لله وجه، ويدان، وعينان، كوجوهنا، وأيدينا، وأعيننا ... ونحو ذلك.

وشبهتهم في ذلك: أن الله تعالى خاطبنا في القرآن بما نفهم ونعقل قالوا: ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كان مشاهداً، فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد.

ومذهبهم باطل بدلالة قوله تعالى : : [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] ﴿الشورى:١١﴾ وقال: [فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ] ﴿النحل: ٧٤﴾ . ففي الآية الأولى نفى أن يكون له مماثل مع إثبات السمع والبصر له. وفي الثانية نهى أن تضرب له الأمثال، فجمع في هاتين الآيتين بين النفي والنهي.

الطائفة الثانية : الأشاعرة ومن ضاهاهم من الماتريدية وغيرهم:

وطريقتهم: أنهم أثبتوا لله الأسماء، وأثبتوا من الصفات سبع صفات وهي العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام ويسمونها الصفات العقلية نسبة إلى مصدر ثبوتها وهو العقل عندهم ، أما بقية الصفات فينفونها عن الله عز وجل ويوجبون فيها إما: التأويل أو التفويض.

وشبهتهم فيما ذهبوا إليه: أنهم اعتقدوا فيما نفوه أن إثباته يستلزم التشبيه أي التمثيل. وقالوا فيما أثبتوه: إن العقل قد دل عليه

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الرجوع إلى العقل في هذا الباب مخالف لما كان عليه سلف الأمة من الصحابة، والتابعين، وأئمة الأمة من بعدهم، فما منهم أحد رجع إلى العقل في ذلك وإنما يرجعون إلى الكتاب والسنة، فيثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسله إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل ، قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: "نصف الله بما وصف به نفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث".

الثاني: أن قولهم فيما نفوه: "إن إثباته يستلزم التشبيه" ممنوع لأن الاشتراك في الأسماء والصفات لا يستلزم تماثل المسميات والموصوفات ، ثم إنه منقوض بما أثبتوه من صفات الله، فإنهم يثبتون لله تعالى الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، مع أن المخلوق متصف بذلك، فإثباتهم هذه الصفات لله تعالى مع اتصاف المخلوق بها مستلزم للتشبيه على قاعدتهم.

فإن قالوا: إننا نثبت هذه الصفات لله تعالى على وجه يختص به ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منها.

قلنا: هذا جواب حسن سديد، فلماذا لا تقولون به فيما نفيتموه فتثبتوه لله على وجه يختص به، ولا يشبه ما ثبت للمخلوق منه؟!

فإن قالوا: ما أثبتناه فقد دل العقل على ثبوته فلزم إثباته.

قلنا: عن هذا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه لا يصح الاعتماد على العقل في هذا الباب كما سبق.

الثاني: أنه يمكن إثبات ما نفيتموه بدليل عقلي يكون في بعض المواضع أوضح من أدلتكم فيما أثبتموه. مثال ذلك: الرحمة التي أثبتها الله تعالى لنفسه في قوله: [وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ] ﴿الكهف: ٥٨﴾ . وقوله: [وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] ﴿يونس: ١٠٧﴾ .فإنه يمكن إثباتها بالعقل كما دل عليها السمع فيقال: الإحسان إلى الخلق بما ينفعهم ويدفع عنهم الضرر يدل على الرحمة، كدلالة التخصيص على الإرادة، بل هو أبين وأوضح لظهوره لكل أحد.

الثالث: أن نقول: على فرض أن العقل لا يدل على ما نفيتموه فإن عدم دلالته عليه لا يستلزم انتفاء في نفس الأمر، لأن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول، إذ قد يثبت بدليل آخر، فإذا قدرنا أن الدليل العقلي لا يثبته فإن الدليل السمعي قد أثبته، وحينئذ يجب إثباته بالدليل القائم السالم عن المعارض المقاوم.

الطائفة الثالثة : المعتزلة ومن تبعهم من أهل الكلام وغيرهم:

وطريقتهم: أنهم يثبتون لله تعالى الأسماء دون الصفات، ويجعلون الأسماء أعلاماً محضة، ثم منهم من يقول إنها مترادفة فالعليم، والقدير والسميع، والبصير شيء واحد، ومنهم من يقول إنها متباينة ولكنه عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر ... ونحو ذلك.

وشبهتهم: أنهم اعتقدوا أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه؛ لأنه لا يوجد شيء متصف بالصفات إلا جسم، والأجسام متماثلة، فإثبات الصفات يستلزم التشبيه.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الله تعالى سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، فإن كان إثبات الصفات يستلزم التشبيه فإثبات الأسماء كذلك، وإن كان إثبات الأسماء لا يستلزم التشبيه فإثبات الصفات كذلك، والتفريق بين هذا وهذا تناقض، فإما أن يثبتوا الجميع فيوافقوا السلف، وإما أن ينفوا الجميع فيوافقوا غلاة الجهمية والباطنية، وإما أن يفرقوا فيقعوا في التناقض.

الثاني: أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات إجمالاً وتفصيلاً مع نفي المماثلة فقال تعالى: [وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى] ﴿النحل: ٦٠﴾ . وقال: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] ﴿الشورى:١١﴾ . وهذا يدل على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل، ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضاً.

الطائفة الرابعة : الجهمية، والقرامطة، والباطنية ومن تبعهم:

وطريقتهم: أنهم ينكرون الأسماء والصفات، ولا يصفون الله تعالى إلا بالنفي المجرد عن الإثبات، ويقولون: إن الله هو الموجود المطلق بشرط الإطلاق فلا يقال: هو موجود، ولا حي، ولا عليم، ولا قدير، وشبهتهم: أنهم اعتقدوا أن إثبات الأسماء والصفات يستلزم التشبيه والتعدد.

ووجه ذلك في الأسماء: أنه إذا سمي بها لزم أن يكون متصفاً بمعنى الاسم. فإذا أثبتنا "الحي" مثلاً لزم أن يكون متصفاً بالحياة؛ لأن صدق المشتق يستلزم صدق المشتق منه، وذلك يقتضي قيام الصفات به وهو تشبيه.

وأما في الصفات فقالوا: إن إثبات صفات متغايرة مغايرة للموصوف يستلزم التعدد، وهو تركيب ممتنع مناقض للتوحيد.

والرد عليهم من وجوه:

الأول: أن الله تعالى جمع فيما سمى ووصف به نفسه بين النفي والإثبات فمن أقر بالنفي وأنكر الإثبات فقد آمن ببعض الكتاب دون بعض، والكفر ببعض الكتاب كفر بالكتاب كله. قال الله تعالى منكراً على بني إسرائيل: [أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] ﴿البقرة: ٨٥﴾ . وقال تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً] ﴿النساء: ١٥٠ – ١٥١﴾ .

الثاني: أن الموجود المطلق بشرط الإطلاق لا وجود له في الخارج المحسوس، وإنما هو أمر يفرضه الذهن ولا وجود له في الحقيقة، فتكون حقيقة القول به نفي وجود الله تعالى إلا في الذهن، وهذا غاية التعطيل والكفر.

الثالث: قولهم: "إن إثبات صفات متغايرة مغايرة للموصوف يستلزم التعدد.." قول باطل مخالف للمعقول والمحسوس. فإنه لا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف، فها هو الإنسان الواحد يوصف بأنه حي، سميع، بصير، عاقل، متكلم ... إلى غير ذلك من صفاته ولا يلزم من ذلك تعدد ذاته.

الرابع: قولهم: "إن الإثبات يستلزم تشبيهه بالموجودات": جوابه: أن النفي الذي قالوا به يستلزم تشبيهه بالمعدومات على قياس قولهم، وذلك أقبح من تشبيهه بالموجودات، وحينئذ فإما أن يقروا بالإثبات فيوافقوا الجماعة، وإما أن ينكروا

النفي كما أنكروا الإثبات فيوافقوا غلاة الغلاة من القرامطة والباطنية وغيرهم.

دراسة بعض صفات الله التي وردت في النصوص الشرعية

١ – صفة العلو : مادة "العين، واللام، والحرف المعتل، ياءً كان أو واواً أو ألفاً ... تدل على السمو والارتفاع"

والعلو يطلق في اللغة على معان هي: علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر

وهي كلها ثابتة لله عز وجل ، فله سبحانه العلو المطلق على خلقه من جميع الوجوه، ذاتًا وقدراً وقهراً

وصفة العلو من صفات الله تعالى الذاتية التي دل عليها الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة

فالكتاب تنوعت دلالته على علو الله؛ فتارة بذكر العلو، وتارة بذكر القوقية، وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده، وتارة بذكر صعودها إليه، وتارة بكونه في السماء ...

١) فالعلو مثل قوله: [وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ] ﴿البقرة: ٢٥٥﴾ ، [سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى] ﴿الأعلى: ١﴾.

٢) والفوقية: [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ] ﴿الأنعام: ١٨﴾، [يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ] ﴿النحل:٥٠﴾.

٣) ونزول الأشياء منه؛ مثل قوله: [يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ] ﴿السجدة: ٥﴾ ، [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ] ﴿الحجر: ٩﴾ ... وما أشبه ذلك.

٤) وصعود الأشياء إليه؛ مثل قوله: [إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ] ﴿فاطر: ١٠﴾ ، ومثل قوله: [تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ] ﴿المعارج: ٤﴾.

٥) كونه في السماء؛ مثل قوله: [أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ] ﴿الملك: ١٦﴾.

والأدلة من السنة ما يلي :

١ –روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر من في السماء صباحاً ومساءاً "

٢ ـ وروى معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجاريته: " أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: اعتقها فإنها مؤمنة ". رواه مسلم

٣-وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت زينب بنت جحش ﴿تفخر﴾ على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: " زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات " رواه البخاري.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة، والتابعون لهم بإحسان، وأئمة أهل السنة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه، وكلامهم مملوء بذلك نصًّا وظاهراً. قال الأوزاعي: "كنّا والتابعون متوافرون. نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات"

وأما العقل: لا شك أن الله عز وجل إما أن يكون في العلو أو في السفل، وكونه في السفل مستحيل؛ لأنه نقص يستلزم أن يكون فوقه شيء من مخلوقاته فلا يكون له العلو التام والسيطرة التامة والسلطان التام فإذا كان السفل مستحيلاً؛ كان العلو واجباً.

وأما الفطرة: فإن الله تعالى فطر الخلق كلهم: العرب، والعجم حتى البهائم على الإيمان به وبعلوّه، فما من عبد يتوجه إلى ربه بدعاء أو عبادة إلا وجد من نفسه ضرورة بطلب العلو، وارتفاع قلبه إلى السماء لا يلتفت إلى غيره يميناً، ولا شمالاً، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من اجتالته الشياطين والأهواء.

وكان أبو المعالي الجويني يقول في مجلسه : "كان الله ولا شيء وهو الآن على ما كان عليه"؛ (يُعرّض بإنكار استواء الله على عرشه) ، فقال أبو جعفر الهمداني: "دعنا من ذكر العرش – أيْ: لأنه ثبت بالسمع – وأخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا، ما قال عارف قطّ: يا الله! إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو، لا يلتفت يمنة، ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة من قلوبنا؟ ".فصرخ أبو المعالي ولطم رأسه، وقال: "حيرني الهمداني، حيرني الهمداني".

المخالفون في صفة العلو : المعطلة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة وغيرهم ، هؤلاء جميعاً نفوا علو الله وارتفاعه فوق خلقه، وكل ذلك تحت دعوى التوحيد والتنزيه ونفي التشبيه، فهم يزعمون أن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة، والمحايثة، والحد، والحركة، والانتقال، وهذه الأمور على زعمهم تستلزم الجسمية، والأجسام حادثة، والله منزه عن الحوادث فمن أجل ذلك نفوا العلو، وأولوا النصوص الثابتة فيه بأن المراد بها علو القهر والغلبة.

الرد عليهم :

١-أن العلو ثابت بالأدلة المتواترة ، وبالفطرة ، والعقل ، والإجماع

٢- الجواب عن زعمهم أن إثبات العلو لله تعالى فيه إثبات للجهة .. نقول:

أولاً: لا يجوز إبطال دلالة النصوص بمثل هذه التعليلات، ولو جاز هذا؛ لأمكن كل شخص لا يريد ما يقتضيه النص أن يعلله بمثل هذه العلل العليلة.

فإذا كان الله أثبت لنفسه العلو، ورسوله، صلى الله عليه وسلم أثبت له العلو، والسلف الصالح أثبتوا له العلو؛ فلا يقبل أن يأتي شخص ويقول: لا يمكن أن يكون علو ذات؛ لأنه لو كان علو ذات؛ لكان كذا وكذا.

ثانياً: ثم نقول: ما هو الحد والجسم الذي أجلبتم علينا بخيلكم ورجلكم فيها.

أتريدون بالحد أن شيئاً من المخلوقات يحيط بالله؟ فهذا باطل ومنتف عن الله، وليس بلازم من إثبات العلو لله أو تريدون بالحد أن الله بائن من خلقه غير حال فيهم، فهذا حق من حيث المعني، ولكن لا نطلق لفظه نفياً ولا إثباتاً، لعدم ورود ذلك.

وأما الجسم، فنقول: ماذا تريدون بالجسم؟ أتريدون أنه جسم مركب من عظم ولحم وجلد ونحو ذلك؟ فهذا باطل ومنتف عن الله، لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. أم تريدون بالجسم ما هو قائم بنفسه متصف بما يليق به؟ فهذا حق من حيث المعني، لكن لا نطلق لفظه نفياً ولا إثباتاً، لما سبق.

وكذلك نقول في الجهة، هل تريدون أن الله تعالي له جهة تحيط به؟ فهذا باطل، وليس بلازم من إثبات علوه، أم تريدون أنه في جهة علو وأنه على السماء ولا يحيط به شيء فهذا حق لا يصح نفيه عن الله تعالي.

٢-صفة الاستواء : الاستواء في اللغة يأتي مطلقا ، ومقيدا.

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى: [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى] ﴿القصص ١٤﴾ ، وهذا معناه: كمل وتم، ويقال: استوى النبات، واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد "بإلى" كقوله تعالى: [ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء] ، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى المعدى بإلى في موضعين من كتابه، الأول في سورة البقرة في قوله [هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء] ﴿ البقرة ٢٩ ﴾ ، والثاني في سورة فصلت [ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَان] ﴿ فصلت ١١ ﴾ ، وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

الثاني: المقيد "بعلى" كقوله تعالى [لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ] ﴿ الزخرف ١٣ ﴾ ، وقوله [وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ] ﴿ هود ٤٤ ﴾ ، وقوله [فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ] ﴿ الفتح ٢٩ ﴾ ، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون "بواو مع" التي تعدى الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها هذه معاني الاستواء في اللغة

واستواء الله على عرشه الوارد في النصوص معناه: علوه واستقراره عليه، علوًّا واستقراراً يليق بجلاله وعظمته، وهو من صفاته الفعلية التي دل عليها الكتاب، والسنة، والإجماع

فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] ﴿ طه: ٥ ﴾ .

ومن أدلة السنة: ما رواه الخلال في كتاب "السنة" بإسناد صحيح على شرط البخاري عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول: "لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه" .

وأما الإجماع :قد أجمع أهل السنة على أن الله تعالى فوق عرشه، ولم يقل أحد منهم إنه ليس على العرش، ولا يمكن لأحدٍ أن ينقل عنهم ذلك لا نصًّا ولا ظاهراً.

وقال رجل للإمام مالك – رحمه الله –: يا أبا عبد الله!: [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ] ﴿ طه ﴾ . كيف استوى؟! فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) . ثم قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً" ثم أُمر به أن يخرج

المخالفون في صفة الاستواء : الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، حيث فسروا استوى الله على عرشه الوارد في النصوص بالقهر والغلبة والاستيلاء ، وقد استدل هؤلاء المعطلة على صحة زعمهم هذا بأن تأويل الاستواء بالاستيلاء أمر مشهور في لغة العرب من ذلك:

قول الشاعر: قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

وقال الآخر: هما استويا بفضلهما جميعاً ... على عرش الملوك بغير زور

الرد عليهم :

أولاً: تفسيركم هذا مخالف لتفسير السلف الذي أجمعوا عليه، والدليل على إجماعهم أنه لم ينقل عنهم أنهم قالوا به وخالفوا الظاهر، ولو كانوا يرون خلاف ظاهره، لنقل إلينا، فما منهم أحد قال: إن (استوى) بمعنى (استولى) أبداً.

ثانياً: أنه مخالف لظاهر اللفظ، لأن مادة الاستواء إذا تعدت بـ (على)، فهي بمعنى العلو والاستقرار، هذا ظاهر اللفظ، وهذه مواردها في القرآن وفي كلام العرب.

ثالثًا : يلزم أن يكون الله عز وجل حين خلق السماوات والأرض ليس مستولياً على عرشه، لأن الله يقول: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] ﴿الأعراف: ٥٤﴾، و [ثُمَّ] تفيد الترتيب، فيلزم أن يكون العرش قبل تمام خلق السماوات والأرض لغير الله.

رابعًا : إن ما يستند إليه هؤلاء المعطلة في زعمهم هذا من قولهم أن تفسير استوى باستولى أمر مشهور في اللغة، هو قول باطل مردود لأنه لم يثبت عند أحد من أهل اللغة أن لفظة استوى يصح استعمالها بمعنى استولى بل إن هذا القول منكر عند اللغويين ،فهذا ابن الأعرابي أحد علماء اللغة أتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] ؟ فقال: "هو كما أخبر عز وجل"، فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى، قال: "اسكت ما أنت وهذا، لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاداً فإذا غلب أحدهما قيل استولى

وقد سئل الخليل بن أحمد: هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: (هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها) .

خامسًا : وأما ما استدل به هؤلاء من أبيات، كقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ولا دم مهراق

وقول آخر: هما استويا بفضلهما جميعاً ... على عرش الملوك بغير زور

فهذان البيتان لم يثبت نقل صحيح على أنهما شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروهما.

قال ابن فارس: "هذان البيتان لا يعرف قائلهما".

فهما على هذا بيتان مصنوعان، ومعلوم أنه لو احتج بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده وقد طعن فيه أئمة اللغة

أثر الإيمان بصفة الاستواء والعلو :

١-أن الإنسان إذا علم بأن الله تعالى مستو على عرشه وأنه فوق كل شيء، فإنه يعرف مقدار سلطانه وسيطرته على خلقه، وحينئذ يخافه ويعظمه، وإذا خاف الإنسان ربه وعظمه، فإنه يتقيه فيؤدي ما أوجب الله عليه ، ويدع ما حرم عليه .

٢-إذا آمن العبد بعلو الله المطلق ذاتا وقدرا ومكانا ، وفوقيته على سائر بريته ، وقهره لهم جميعا ، اتجه إليه بقلب خاشع ، وجعله له صمدا ، يعرج قلبه إليه مناجيا له مطرقا ، واقفا بين يديه في السؤال والرهبة والذل والمحبة.

٣- **صفة الكلام :** الكلام صفة من صفات الله تعالى ، وهو صفة ذاتية باعتبار النوع وصفة فعلية باعتبار أفراد الكلام فهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء بكلام مسموع، وقد دل على صفة الكلام الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع السلف

فمن الكتاب : قوله تعالى: [وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا] ﴿النساء: ١٦٤﴾ (النساء: ١٦٤) ، [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ] ﴿الأعراف: ١٤٣﴾ (الأعراف: ١٤٣) .

ومن السنة : قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي" أخرجه ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده»

وأما الإجماع : فقد أجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. وهو كلام حقيقي يليق بالله يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة.

والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى: [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ] ﴿الأعراف: ١٤٣﴾ .

فالتكليم حصل بعد مجيء موسى فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى.

المخالفون لأهل السنة في كلام الله تعالى : خالف أهل السنة في كلام الله طوائف نذكر منهم طائفتين:

الطائفة الأولى: الجهمية، قالوا ليس الكلام من صفات الله وإنما هو خلق من مخلوقات الله يخلقه الله في الهواء أو في المحل الذي يسمع منه وإضافته إلى الله إضافة خلق أو تشريف مثل: ناقة الله وبيت الله. ونرد عليهم بما يلي:

١ – إنه خلاف إجماع السلف.

٢ – خلاف المعقول؛ لأن الكلام صفة للمتكلم وليس شيئا قائما بنفسه منفصلا عن المتكلم. – إن موسى سمع الله يقول: [إِنَّنِي أَنَا اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي] ﴿ طه: ١٤ ﴾ .

ومحال أن يقول ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى.

الطائفة الثانية: الأشعرية قالوا: كلام الله معنى قائم بنفسه لا يتعلق بمشيئته وهذه الحروف والأصوات المسموعة مخلوقة للتعبير عن المعنى القائم بنفس الله ، واستدلوا على ذلك بقول الأخطل :

إِن الْكَلَام لفي الْفُؤَاد وَإِنَّمَا ... جعل اللِّسَان على الْفُؤَاد دَلِيلا

الرد عليهم بما يلي:

١ – أن قولهم هذا خلاف إجماع السلف.

٢ – أنه خلاف الأدلة؛ لأنها تدل على أن كلام الله يسمع ولا يسمع إلا الصوت لا يسمع المعنى القائم بالنفس.

٣ – أنه خلاف المعهود؛ لأن الكلام المعهود هو ما ينطق به المتكلم لا ما يضمره في نفسه.

والدليل على أنه حروف قوله تعالى: [يَا مُوسَى ، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ] ﴿ طه: ١١، ١٢ ﴾ ،فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله، والدليل على أنه بصوت قوله تعالى: [وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا] ﴿ مريم: ٥٢ ﴾ .

والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت ، وروى عبد الله بن أنيس عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "يحشر الله الخلائق فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان". رواه البخاري .

٤ – وأما استدلالهم بقول الأخطل : فاستدلال فاسد. ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به! فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟! وقيل إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد ... وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس! أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟!

أثر الإيمان بصفة الكلام :

١ –أن الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة ، يجعل العبد يستشعر وهو يقرأ القرآن ، أن الله يكلمه ويخاطبه ، وبذلك يعظم إجلاله للقرآن الكريم .

٢ –أن الإيمان بأن الله يتكلم حقيقة ،وأنه سوف يخلو يوم القيامة بعبده المؤمن ويقول له : (أتعرف ذنب كذا ؟ ...) ، يجعل العبد دائم التعلق بربه والحياء منه أن يعصيه في الدنيا .

٤ – **صفة الغضب :** صفةٌ فعلية خبريَّةٌ لله – عز وجل – ثابتةٌ بالكتاب والسنة

فمن الكتاب:قوله تعالى: [وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ] (النور: ٩)

ومن السنة: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي" متفق عليه

وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الغضب لله – عز وجل – بوجه يليق بجلاله وعظمته، لا يكيفون ولا يشبهون ولا يؤولون؛ كمن يقول: الغضب إرادة العقاب، ولا يعطلون، بل يقولون: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] الشورى: ١١.

المخالفون في صفة الغضب : تأول المتكلمون ومن تبعهم صفة الغضب بلازم الغضب ، وهو إرادة الانتقام ،وعللوا لما ذهبوا إليه بقولهم: إن أصل الغضب غليان دم القلب عند إرادة الانتقام، وذلك مستحيل على الله تعالى، أو بعبارة أخرى: إن حقيقة الغضب الانفعال والتغير من حال إلى حال، وهو أمر لا يليق بالله، إلى آخر تلك التعليلات والأعذار غير المقبولة لدى غيرهم، من أهل السنة والجماعة.

والرد عليهم : أن لوازم صفات المخلوقين التي ذكروها لا تلزم صفات الخالق، إذ لا مناسبة بين صفات الخالق وصفات المخلوق حتى تقاس صفاته سبحانه على صفاتهم، وكما أنهم أثبتوا ذات البارئ دون تفكير في لوازم ذوات المخلوقين، يلزمهم إثبات صفاته ذاتية أو فعلية دون تفكير في لوازم صافت المخلوقين، وهذا الإلزام يلحق أو يلزم جميع النفاة المعتزلة والأشاعرة وأتباعهم.

أثر الإيمان بصفة الغضب : الخوف من فعل الأعمال التي تستوجب غضب الله وسخطه ، والحرص على فعل الأعمال التي توصل إلى ما محبته ورضاه

٥-صفة اليدين : صفة ذاتية خبرية لله عز وجل ، وهما يدان حقيقيتان تليقان بجلال الله تعالى، ولا تماثلان أيدي المخلوقين، وقد على ثبوتها الكتاب والسنة.

فمن أدلّة الكتاب قوله تعالى : [مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] ﴿ص: ٧٥﴾ .

ومن أدلة السنة: عن أبي موسى الأشعري الذي رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»

وحديث الشفاعة، وفيه: ((.. فيأتونه فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر؛ خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه ...))

رواه البخاري ومسلم

وقد أجمع أهل السنة على أنهما يدان حقيقيتان لا تُشبهان أيدي المخلوقين

المخالفون في صفة اليدين :المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، فقد أولوا صفة اليدين الواردة في النصوص بالقدرة والنعمة ونحو ذلك

الرد عليهم : أنه لا يصحّ تأويل صفة اليدين إلى القوة، أو النعمة أو نحو ذلك لوجوه منها:

أولاً – أنه صرف للكلام عن حقيقته إلى مجازه بلا دليل.

ثانياً – أنه معنى تأباه اللغة في مثل السياق الذي جاءت به مضافة إلى الله – تعالى –؛ فإن الله قال: [لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] ﴿ص: ٧٥﴾ . ولا يصح أن يكون المعنى: لما خلقت بنعمتي، أو قوتي.

ثالثاً – أنه ورد إضافة اليد إلى الله بصيغة التثنية، ولم يرد في الكتاب والسنة ولا في موضع واحد إضافة النعمة والقوة إلى الله بصيغة التثنية فكيف يفسر هذا بهذا؟!

رابعاً – أنه لو كان المراد بهما القوة لصح أن يُقال: إن الله خلق إبليس بيده ونحو ذلك. وهذا ممتنع. ولو كان جائزاً لاحتج به إبليس على ربه حين قال له: [مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ] ﴿ص: ٧٥﴾ .

خامساً – أن اليد التي أضافها الله إلى نفسه وردت على وجوه تمنع أن يكون المراد بها النعمة، أو القوة فجاءت بلفظ اليد، والكفّ. وجاء إثبات الأصابع لله تعالى، والقبض، والهزّ، كقوله صلّى الله عليه وسلّم: "يقبض الله سماواته بيده، والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن ويقول: أنا الملك" .

أثر الإيمان بصفة اليدين :

١ – أن الإقرار بأن لله يدين حقيقتين تليق بجلاله وعظمته ، تصديق لخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك من أعظم صفات أهل الإيمان

٢ – أن الإيمان بأن لله يدين حقيقتين تليق بجلاله وعظمته ، يورث القلب المهابة لله، والخوف منه وتعظيم أمره وشأنه، وأنه الملك الذي قهر الملوك، وأنه لا مفر من قبضته، ولا ملجأ منه إلا إليه.

٦–صفة المحبة: صفة فعلية ثابتة لله تعالى ، بأنه تعالى يحب من عباده من أطاعه واتقاه ، وهو وصف على غاية الكمال والجلال والغنى ، لا يعتريه نقص ، ولا يرد عليه تشبيه .

الأدلة على ثبوتها : الكتاب والسنة والإجماع فمن أدلة الكتاب: قال تعالى [وَأَحْسِنُوَا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] ، وقال : [وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] ، وقال: [فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] ، وقال: [إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ] وقال: [فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]

وأما من السنة:حديث سهل بن سعد – رضي الله عنه –: (... لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله ...) متفق عليه

وحديث سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –: (إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي) مسلم

وأما الإجماع : فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إنَّ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين

ومحبتهم له، كقوله تعالى: [وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً للهِّ] وقوله: [يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ] وقوله: [أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللهِ وَرَسُولِه] ... وقد أجمع سلف الامة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا صل دين الخليل امام الحنفاء عليه السلام)

المخالفون في صفة المحبة: نفى الجهمية والمعتزلة والأشاعرة صفة المحبة لله عز وجل ، بدعوى أنها توهم نقصا؛ إذ المحبة في المخلوق معناها ميله إلى ما يناسبه أو يستلذه ، والله تعالى منزه عن ذلك، وأولوا نصوص الكتاب والسنة التي تذكر المحبة بإرجاعها إلى الإرادة؛ فيفسرون المحبة بإرادة الإنعام أو إرادة الرحمة .

أو بإرجاعها إلى صفة الكلام فتكون محبة الله لعباده هي مدحه إياهم وثناؤهم عليهم ، فأولوا المحبة بإرادة الثواب كما هو عند الأشاعرة، أو إلى نفس الثواب المعطى للمحبوب كما هو عند المعتزلة

الرد عليهم من وجهين :

الوجه الأول : أن أهل الحق؛ يثبتون المحبة صفة حقيقية لله عز وجل على ما يليق به، فلا تقتضي عندهم نقصا ولا تشبيها، كما يثبتون لازم تلك المحبة، وهي إرادته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته.

الوجه الثاني: أن قولهم إن المحبة ميل القلب إلى المحبوب وهذه صفة المخلوق، ولا يجوز أن تكون صفة لله، فنقول هذا أيضا يلزمكم في صفة الإرادة التي تثبتونها فالإرادة ميل النفس إلى المراد ولا يجوز أن تكون صفة لله ، فإن قلتم إن الإرادة التي نثبتها تليق بالله ، فكذلك يقال لكم في المحبة إنها تليق بالله ، قال شيخ الإسلام : (القول في بعض الصفات كالقول في بعض. فإن كان المخاطب ممن يقر بأن الله حي بحياة، عليم بعلم، وقدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهيته، فيجعل ذلك مجازاً ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات، قيل له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه، وهذا هو التمثيل، وإن قلت: له إرادة تليق به، كما أن للمخلوق إرادة تليق به، قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به)

أثر الإيمان بصفة المحبة :

١-مسارعة المؤمن في تحصيل الأسباب التي تؤدي إلى محبة الله .

٢- إلحاح المؤمن في الدعاء أن يرزقه الله محبته ، والرضا عنه ، كما في الحديث : (أسألك حبك وحب من يحبك وحب

عمل يقرب إلى حبك) رواه الترمذي .

٣- أن التفكر في صفة المحبة لله يزيد في محبة الله، فالله عز وجل مع غناه وعظمته سبحانه يحب عبده المتقي ، بل يحب عبده المذنب المقصر في حقه حين يعود إليه ويتوب ، فسبحانه من رب رؤوف رحيم .

٧-صفة الوجه: الوجه من صفات الله تعالى الذاتية، الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال الله تعالى: [كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ] ،وقال تعالى: [وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ] ،وقال تعالى : [وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ] .

وأما من السنة : حديث ابن عمر رضي الله عنهما في الثلاثة الذين حُبِسُوا في الغار، فقال كل واحد منهم: ((اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرج عنا ما نحن فيه ...)) . رواه: البخاري ومسلم

وحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((... إنك لن تخلَّف فتعمل عملاً تبتغي به وَجْه الله؛ إلا ازددت به درجة ورفعة ...)) . رواه: البخاري

وأما الإجماع : فيقول إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد بعد أن أورد جملة من الآيات تثبت صفة الوَجْه لله تعالى: (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر؛ مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا؛ من غير أن نشبه وَجْه خالقنا بوَجْه أحد من المخلوقين، عز ربنا أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين)

وقال الحافظ ابن منده في كتاب التوحيد : (ومن صفات الله – عز وجل – التي وصف بها نفسه قوله: [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] ، وقال: [يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ] ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يستعيذ بوجه الله من النار والفتن كلها، ويسأل به ..)، ثم ذكر أحاديث بسنده، ثم قال: " بيان آخر يدل على أن العباد ينظرون إلى وجه ربهم – عز وجل –)، وذكر ما يدل على ذلك

المخالفون في صفة الوجه : ذهب الجهمية والمعتزلة ومتأخرو الأشاعرة إلى تأويل الوجه بالذات أو الثواب

١-الرد عليهم في تأويل صفة الوجه بالثواب :

أولاً – أنه خلاف ظاهر النّص، وما كان مخالفاً لظاهر النص فإنه يحتاج إلى دليل، ولا دليل على ذلك.

ثانياً – ثانيًا: أن فيه مخالفة لإجماع السلَف، فلا يُعْرَفُ أحدٌ منهم قال: إنَّ المراد بالوَجْه الثواب.

ثالثًا: أنه جاء في الآية بيان صفات عظيمة لهذا الوجه؛ فقال – تعالى –: [ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَام]﴿٧﴾، فهل يمكن أن نقول عن الثواب: ذو الجلال والإكرام؟!

رابعًا: جاء في حديث أبي موسى– رضي الله عنه –: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((حجابُه النورُ، لو كشفه لأحرقت سُبُحَاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصره من خلقه))﴿٨﴾، فهل يمكن أن يقال: إن الثواب له النور الذي يحرق ما انتهى إليه بصر الله من الخلق؟!

خامسًا: جاء في "صحيح البخاري"، من حديث جابر – رضي الله عنه –: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما نزل عليه قول الله – تعالى –: [قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ]﴿٩﴾، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((أعوذ بوجهك))، ولو كان الثواب هو المقصود، فهل يصحُّ أنْ يُستعاذ به؟! وهل يُستَعَاذُ بمخلوق؟!

٢–الرد عليهم في تأويل صفة الوجه بالذات :

أولاً: أن هذا مخالف لظاهر الآية.

ثانيًا: أنه مخالف لإجماع السلف، فلا يُعْرَفُ أحدٌ منهم أوَّلها بالذات.

ثالثًا: أن الله – عزَّ وجلَّ – وصف وجهه بقوله: [ذُو الجَلالِ وَالْإِكْرَامِ]، ولو كان ذلك وصفًا للذات لقال: (ذي الجلال والإكرام)؛ لأن لفظ (ربك) مجرورةٌ بالإضافة.

رابعًا: أن من المعلوم أن العطف يقتضي المُغَايَرَة والاختلافَ، ففي حديث ابن عمرو: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا دخل المسجد قال: ((أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، من الشيطان الرجيم))؛ رواه أبو داود، وهنا عطف الوجه على الله – جل وعلا.

أثر الإيمان بوجه الله تعالى:

١ – قصد وجه الله بصالح الأعمال، العمل الذي لا يقصد به وجهه باطل قال تعالى : (كلُّ شيءٍ هالك إلاَّ وجهه) والله عز وجل وصف عباده الصالحين بأنّهم يريدون بعملهم وجهه، ولا شيء غير وجهه (إنَّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) ﴿الإنسان: ٩﴾ ، (وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تجزى – إلاَّ ابتغاء وجه ربه الأعلى) (واصبر نفسك مع الَّذين يدعون ربَّهم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يريدون وجهه)

٢–الطمع في رؤية وجه الله ، روى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عزّ وجل) ثمّ تلا هذه الآية: (للَّذين أحسنوا الحسنى وزيادةٌ)

٨–صفة النزول : صفة فِعْلِيَّةٌ خبريَّةٌ ثابتةٌ لله عَزَّ وجَلَّ بالسنة الصحيحة، ففي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "ينزل ربّنا إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له" .

وقد روى هذا الحديث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، نحو ثمانٍ وعشرين نفساً من الصحابة رضي الله عنهم، واتفق أهل السنة على تلقي ذلك بالقبول.

ونزوله تعالى إلى السماء الدنيا من صفاته الفعلية التي تتعلق بمشيئته وحكمته، وهو نزول حقيقي يليق بجلاله وعظمته.

المخالفون في صفة النزول : المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم ، أولوا ما ورد في النصوص من نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا بنزول أمره أو رحمته أو نزول ملائكته .

الرد عليهم :

الأول – أنه خلاف ظاهر الحديث؛ لأن النبي صلّى الله عليه وسلّم، أضاف النزول إلى الله، والأصل أن الشيء إنّما يُضاف إلى من وقع منه أو قام به، فإذا صرف إلى غيره كان ذلك تحريفاً يُخالف الأصل.

الثاني : أن قولهم هذا مخالفٌ لصريح النص في قوله تعالى: (من يدعوني) إذ إن الملك لا يمكن أن يقول للخلق من يدعوني فأستجيب له، لأن هذا لا يقدر عليه إلا الله، ولو أن أحداً قاله من الخلق لقلنا إنه نزل نفسه منزلة الخالق،

والملائكة مكرمون عن هذا، فالملائكة يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون، ويتبرؤون ممن يدعون غير الله.

الثالث – أن تفسيره بذلك يقتضي أن يكون في الكلام شيء محذوف، والأصل عدم الحذف.

الرابع – أن نزول أمره أو رحمته لا يختص بهذا الجزء من الليل، بل أمره ورحمته ينزلان كل وقت.

فإن قيل: المراد نزول أمر خاصّ، ورحمة خاصة، وهذا لا يلزم أن يكون كل وقت.

فالجواب: أنه لو فرض صحة هذا التقدير والتأويل، فإن الحديث يدل على أن منتهى نزول هذا الشيء هو السماء الدنيا، وأي فائدة لنا في نزول رحمة إلى السماء الدنيا حتى يخبرنا النبي صلّى الله عليه وسلّم عنها؟!

أثر الإيمان بصفة النزول :

١ –الإيمان بهذه الصفة يورث في القلب تعظيم الرب ومحبته ، لتفضله على عباده بالنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا ،ومناداته لهم بقوله:مَنْ يَدْعوني فَأستجيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُني فَأَعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُني فَأَغْفِرَ لَهُ"

٢ –الحرص على استغلال الوقت الذي ينزل فيه الرب جل جلاله ، بسؤاله ودعائه واستغفاره

٩ –**صفة المعية :** المعية في اللغة: مطلق المقارنة والمصاحبة. لكن مقتضاها ولازمها يختلف باختلاف الإضافة وقرائن السياق والأحوال.

وقد أثبت الله لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله أنه مع خلقه،**فمن أدلة الكتاب:** قوله تعالى: [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ] ﴿ الحديد: ٤ ﴾ ، وقوله تعالى: [وَأَنَّ اللهَّ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ] ﴿ الأنفال: ١٩ ﴾ ، وقوله تعالى: [إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى]

ومن أدلة السنة: قوله صلّى الله عليه وسلّم: "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت" . وقوله صلّى الله عليه وسلّم، لصاحبه أبي بكر وهما في الغار: [لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ] ﴿ التوبة: ٤٠ ﴾ .وقد أجمع على ذلك سلف الأمة، وأئمتها.

ومعية الله عز وجل الوارد في النصوص تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة.

أما العامة؛ معية عامة: شاملة لجميع المخلوقات، فهو سبحانه مع كل شيء بعلمه وقدرته وقهره وإحاطته، لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه، ودليلها قوله تعالى: [وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ] ﴿ الحديد: ٤ ﴾.

[مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا] ﴿المجادلة: ٧﴾ .

وأما الخاصة فهي: التي تقتضي النصر والتأييد لمن أضيفت له. وهي مختصة بمن يستحق ذلك من الرسل وأتباعهم، مثل قوله تعالى عن نبيه: [إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا] ﴿التوبة ٤٠﴾، وقال لموسى وهارون: [إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى] ﴿طه: ٤٦﴾. وقوله تعالى: [وأَنَّ اللهَّ مَعَ المؤمنِينَ] ﴿الأنفال: ١٩﴾

هل المعية من صفات الله الذاتية أو من صفاته الفعلية؟

فالجواب: أن المعية العامة من الصفات الذاتية؛ لأن مقتضياتها ثابتة لله تعالى أزلاً وأبداً، وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية؛ لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها، توجد بوجودها، وتنتفي بانتفائها.

المخالفون في صفة المعية :

الطائفة الأولى : الجهمية الحلولية ، وهم الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان ، فهؤلاء فسروا المعية بالمعية الذاتية .

الطائفة الثانية : طوائف من أهل الكلام والتصوف ويقولون إن الله بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان

والطائفتان استدلوا على ما ذهبوا إليه بآيات المعية ،فالطائفة الأولى قالوا إن ما ورد من معية الله فالمراد به أن الله بذاته في كل مكان، والطائفة الثانية تقول إنها قد اتبعت النصوص كلها في إثبات علو الله على عرشه ، وإثبات معيته بذاته في كل مكان

الرد عليهم : ١-أن الله تعالى أثبت لنفسه أنه العلي وأنه فوق العرش ، وما ورد من معيته لخلقه لا يدل على ما ذهبتم إليه من أن الله بذاته في كل مكان ، لأن المعية لا تستلزم الحلول في المكان، ألا ترى إلى قول العرب: القمر معنا، ومحله في السماء؟ ويقول الرجل: زوجتي معي، وهو في المشرق وهي في المغرب؟ ويقول الضابط للجنود: اذهبوا إلى المعركة وأنا معكم، وهو في غرفة القيادة وهم في ساحة القتال؟ فلا يلزم من المعية أن يكون الصاحب في مكان المصاحب أبداً، والمعية يتحدد معناها بحسب ما تضاف إليه، فنقول أحياناً: هذا لبن معه ماء وهذه المعية اقتضت الاختلاط. ويقول الرجل متاعي معي، وهو في بيته غير متصل به، ويقول: إذا حمل متاعه معه: متاعي معي وهو متصل به. فهذه كلمة واحدة لكن

يختلف معناها بحسب الإضافة، فبهذا نقول: معية الله عز وجل لخلقة تليق بجلاله سبحانه وتعالى، كسائر صفاته، فهي معية تامة حقيقية، لكن هو في السماء.

٢- يلزم من قول إن الله بذاته في كل مكان لوازم فاسدة:

أولاً: إما التعدد أو التجزؤ، وهذا لازم باطل بلا شك، وبطلان اللازم يدل على بطلان اللزوم.

ثانياً: نقول: إذا قلت: إنه معك في الأمكنه، لزم أن يزداد بزيادة الناس، وينقص بنقص الناس.

ثالثاً: يلزم على ذلك ألا تنزهه عن المواضع القذرة، فإذا قلت: إن الله معك وأنت في الخلاء فيكون هذا أعظم قدح في الله عز وجل

أثر الإيمان بصفة المعية : إذا عرف العبد أن الله معه؛ وأنه مطلع عليه، وأنه لا تخفى عليه خافية ؛ فإن ذلك يحمله على مراقبته ، والخوف منه ، وعدم الخروج عن طاعته، وعدم ارتكاب شيء من معاصيه.

١٠-صفة المجيء والإتيان : صفتان فعليتان خبريَّتان ثابتتان بالكتاب والسنة.، فهو سبحانه يجيء ويأتي يوم القيامة للفصل والقضاء بين عباده ، بمشيئته وقدرته ، وذلك كما يليق بجلاله وعظمته، قال تعالى: [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] ، وقال: [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ] ، وقال تعالى : : [هَل يَنظُرُونَ إلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل "حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله أتاهم رب العالمين"
قال أبو الحسن الأشعري في رسالة إلى أهل الثغر: (وأجمعوا على أنه عَزَّ وجَلَّ يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً ...)
وقال أبو عثمان الصابوني : "وكذلك يثبتون ما أنزله الله -عز اسمه- في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله عز وجل [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ] ﴿البقرة: ٢١٠﴾ وقوله عز اسمه [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً] ﴿الفجر: ٢٢﴾)

المخالفون في صفة المجيء والإتيان : المخالفون لأهل السنة والجماعة مِن المعطِّلة؛ كالجَهْمِيَّة، والمعتزِلة، والأشاعرة، يُؤَوِّلُون المجيء والإتيان لله، فيُقَدِّرون محذوفًا، ويقولون: "جاء أمر ربك، وأتى أمر ربك"، فلا يثبتون المجيء والإتيان

لله بنفسه، ويقولون في قوله – تعالى –: [وَجَاءَ رَبُّكَ]؛ أي: أمْرُ ربك، وفي قوله [أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ]؛ أي: أمْرُ ربك، مستدلِّين بقَوْلِه – تعالى –: [أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ] ، وهذا تأويلٌ باطلٌ، وصَرْف للنَّصِّ عنْ ظاهِره.

والرد عليهم:

١ – أنَّ هذا التأويل مخالفٌ لطريقة السلَف – رحمهم الله.

٢ – أن تأويلَكم هذا مخالفٌ لظاهر النُّصوص، ولا دليل على هذا التأويل.

٣– أنَّ قولكم بأن المراد: "جاء أمر الله، وأتى أمر الله"، واستدلالكم بقوله – تعالى –: [أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ]﴿ ٧١﴾، هو استدلال عليكم لا لكم؛ لأنَّ فيه بيانًا بأنَّ الله – عزَّ وجل – لو أراد هذا المعنى لذَكَرَهُ في بقيَّة الآيات، كما ذكَرَهُ هنا، بل أصرح من ذلك: أنَّ الله – تعالى – في آية واحدة بيَّن صفة الإتيان لنفسه، والإتيان لغيره؛ فقال – تعالى –: [هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ]﴿ ٧٢﴾، وهذا التَّقْسيم والبيان لإتيان الملائكة، وإتيانه – سبحانه – وإتيان بعض آياته – تقْسيمٌ يبعد معه التقدير؛ لأنه لو أراد أمْرَه – سبحانه – كما تزْعمُون، لَذَكَرَهُ في هذه الآية، فليس هناك ما يمنع ذِكْره.

أثر الإيمان بصفة المجيء والإتيان لله تعالى : الخوف من هذا المقام وهذا المشهد العظيم الذي يأتي فيه الرب عز وجل للفصل بين عباده وتنزل الملائكة، ولا يبقى أمامك إلا الرب عز وجل والمخلوقات كلها، فإن عملت خيراً، جوزيت به، وإن عملت سوى ذلك، فإنك ستجزى به، كما قال النبي عليها لصلاة والسلام: "إن الإنسان يخلو به الله عز وجل، فينظر أيمن منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه، فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار، ولو بشق تمرة".

فالإيمان يمثل هذه الأشياء العظيمة لا شك أنه يولد للإنسان رهبة وخوفاً من الله سبحانه وتعالى واستقامة على دينه.

رؤية الله عز وجل يوم القيامة والرد على المخالفين : رؤية العباد لله تعالى يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة؛ فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى : [وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة]، قوله: [نَاضِرَةٌ]؛ أي: حسنة، من النضارة؛ بالضاد، وهي: الحسن، يدل على ذلك قوله تعالى: [فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً] ﴿ الإنسان:١١ ﴾؛ أي:

حسناً في وجوههم، وسروراً في قلوبهم.

قوله: [إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ]: [نَاظِرَةٌ]؛ بالظاء، من النظر، وهنا عدي النظر بـ (إلى) الدالة على الغاية، وهو نظر صادر من الوجوه، والنظر الصادر من الوجوه يكون بالعين؛ بخلاف النظر الصادر من القلوب؛ فإنه يكون بالبصيرة والتدبر والتفكر؛ فهنا صدر النظر من الوجوه إلى الرب عز وجل؛ لقوله: [إِلَى رَبِّهَا].

فنفيد الآية الكريمة: أن هذه الوجوه الناضرة الحسنة تنظر إلى ربها عز وجل، فتزداد حسناً إلى حسنها.

وقال تعالى في شأن الكفار: [كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون] قال الشافعي في وجه الدلالة من الآية: (لما حجبهم في السخط كان هذا دليلا على أنهم يرونه في الرضا)

وقال تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) . فقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة بالنظر إلى وجه الله.

أخرج مسلم عن صهيب – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟) قال: (فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم) ثم تلا هذه الآية [للذين أحسنوا الحسنى وزيادة]

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله –رضي الله عنه– قال: كنا جلوسا عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا) وفيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟) قالوا: لا، قال: (فإنكم ترونه كذلك) .

قال أبو الحسن الأشعري في ((رسالة إلى أهل الثغر)) (ص ٢٣٧) : ((وأجمعوا على أنَّ المؤمنين يرون الله عَزَّ وجَلَّ يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخبر به تعالى، في قوله تعالى: [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ] ، وقد بيَّن معنى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ودفع إشكاله فيه؛ بقوله للمؤمنين: ((ترون ربكم عياناً)) ، وقوله: ((ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر؛ لا تُضامون في رؤيته)) ، فبيَّن أنَّ رؤيته تعالى بأعين الوجوه))

المخالفون في رؤية الله :

أولًا : الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية ، أنكروا رؤية الله واستدلوا على ذلك بما يلي :

الدليل الأول : قوله تعالى: [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً] ﴿الأعراف: ١٤٣﴾.

وجه الاستدلال أن (لن) للنفي المؤبد، والنفي خبر، وخبر الله تعالى صدق، لا يدخله النسخ

الرد عليهم من وجوه :

الأول :أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته – أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: [إني أعظك أن تكون من الجاهلين]

الثالث: أن موسى عليه صلاة والسلام لم يطلب من الله الرؤية في الآخرة؛ وإنما طلب رؤية حاضرة؛ لقوله: [أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ]؛ أي: الآن. فقال الله تعالى له: [لَنْ تَرَانِي]؛ يعني: لن تستطيع أن تراني الآن، ثم ضرب الله تعالى له مثلاً بالجبل حيث تجلى الله تعالى له فجعله دكاً، فقال: [وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي] ، فلما رأى موسى ما حصل للجبل؛ علم أنه هو لا طاقة برؤية الله، وخر صعقاً لهول ما رأى.

الرابع :أما دعواهم تأبيد النفي بـ ((لن)) وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففاسد، فإنها لو قيدت بالتأبيد لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: [ولن يتمنوه أبدا] (٢)، مع قوله: [ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك]. ولأنها لو كانت للتأبيد المطلق لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: [فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي]. فثبت أن ((لن)) لا تقتضي النفي المؤبد.

قال الشيخ ابن مالك في الكافية: ومن رأى النفي بلن مؤبدا ... فقوله اردد وسواه فاعضدا

الدليل الثاني لنفاة رؤية الله تعالى: قوله تعالى: [لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] ﴿الأنعام: ١٠٣﴾ قالوا: فَنَفَى الإدراكَ، ونَفْيُ الإدراك مستلزم لانتفاء الرؤية.

والجواب أنَّ هذا غلط كبير؛ لأنَّ نَفْيَ الإدراك لا يستلزم انتفاء الرؤية، فإنَّه قد ترى الشيء ولا تدركه؛ يعني لا تحيط به، فهذه السماء نراها ولا أحد يشك في أنه يرى السماء، ولو قلت لأي أحد يرى السماء: هل تدرك السماء رؤية وتحيط بها؟

فسيكون جواب كل أحد: لا، يعني لا يدركها رؤية، وإنما يرى منها ما يمكنه أن يرى وكما قال – عز وجل – [فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا] ﴿الشعراء:٦١-٦٢﴾ ووجه الدلالة أَنَّهُ نفى الإدراك، ومع نَفْيِ الإدراك أثبت الله – عز وجل – الترائي وهو رؤية كل جمع لآخر فقال [فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ] هذا الجمع رأى الجمع وذاك الجمع رأى الجمع ومع ذلك [قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ] فقال موسى (كَلَّا) يعني لن نُدْرَكْ يعني لن يُحاطَ بنا.

فنَفْيُ الإحاطة لا يستلزم أن تُنْفَى الرؤية؛ بل نَفْيُ الإحاطة يستلزم إثبات الرؤية نقيض ما قالوا، وهو الوجه الثاني من الاستدلال عليهم بهذه الآية.

ثانيًا :الأشاعرة : أثبتوا الرؤية لكن قالوا الرؤية ليست إلى جهة، وإنما تكون إدراكاً .

الرد عليهم :

١ – أن النصوص الواردة في الرؤية – وهي كثيرة، وقد أفردها بعض علماء السنة بمؤلفات – دالة على أن رؤية المؤمنين لربهم إنما تكون في جهة

٢ – أن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت بإجماع السلف والأئمة، ونصوصهم في ذلك متواترة

٣ – أن الأشاعرة – مع كونهم أقرب إلى الحق من المعتزلة، لأنهم أقروا بالرؤية، وإن كانوا قد نفوا العلو – بخلاف المعتزلة الذين نفوا الأمرين – إلا أنهم متناقضون، لأن إثباتهم للرؤية يقتضي إثباتهم للعلو، كما أن نفيهم للعلو يقتضي نفيهم للرؤية أيضاً. فيلزمهم أحد أمرين: إما نفي الرؤية أو اللحاق بأهل السنة في إثباتها. وأحد الأمرين لازم لهم.